المنطق الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

٢٦-{وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون}

لهذه الآية ظهور في هذه الأمّة ممن اتبع سنة هؤلاء الذين كفرا. وهم الذين يقولون لأتباعهم بعدم السماع للقرءان سماع استفادة علم وحكم، أو بعدم السماع لمن يبيّن القرءان من أهل القرءان والدعوة إليه والتحاكم إليه ويسمونهم بأسماء أهل البدع والمحدثات وما أشبه من أكاذيب هم أولى بها ممن يرمونهم بها عادةً. ثم {الغوا فيه} ورثوا هذه الكلمة حين حشوا القرءان بلغوهم العقائدي والمذهبي تطبيقاً له على القرءان بدون شاهد من آية ولا حجّة عقلية، مثلاً بالأمس قرأتُ وصاحبي ونحن نتدارس القرءان في المسجد قوله تعالى من سورة الصف وفي حاشية المصحف تفسير الجلالين وحاشية الصاوي "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" فكتب صاحب التفسير بل صاحب التغيير " مقتضى هذا التركيب، أن زيغهم لازاغة الله قلوبهم، مع أن الأمر بالعكس، لأن العبد لا يزيغ، إلا إن أزاغه الله وصرفه عن الهدى." أقول: هذا مصداق "يحرفونه من بعد ما عقلوه"، فالآية تبيّن أنهم هم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" لكن لغوا فيها حين وضعوا عقيدتهم في الجبر في الآية بزعم أن "العبد لا يزيغ إلا إن أزاغه الله وصرفه عن الهدى"، وفي تفسير الجلالين نسبة ذلك إلى علم الله الأزلي، مع أن الآية لو كانت كما يزعمون ويحرفون لكانت هكذا "فلما أزاغ الله قلوبهم زاغوا"، فقلبوا القرءان رأساً على عقب حفظاً لعقيدتهم الفاسدة بل الكفرية بل أقلّ ما يقال فيها أنها سوء أدب وتحريف للنص. فهذا مثال على {الغوا فيه} وما أكثره في هذه الأمّة المفتون أكثرها عن كتاب ربها.

وما غرضهم من ترك السماع للقرءان من ذاته أو من أهل بيانه به واللغو فيه؟ {لعلكم تغلبون} يريدون أن يغلبوا مَن؟ يغلبوا أهل الإسلام والإيمان والقرءان، كما قال الله "ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم". كوّنت كل فرقة وشيعة وحزب ديناً خاصاً يأخذ شيئاً من القرءان ويضيف عليه من عند نفسه أمور إما ليست فيه وإما تخالفه نصاً وإما تخالفه معنى وتخالف روحه ومنطقه، وصار يبغي بعضهم على بعض بسبب ذلك. فماذا يفعلون بالقرءان؟ الجواب {لا تسمعوا لهذا القرءآن والغوا فيه} فطريقتهم خلاصتها: كل آية تخالف ما عليه مذهبنا إما منسوخة وإما مؤولة، يعني إما أبطلوا حكمها وإما حرّفوا قصدها، لماذا؟ لأنها تخالف مذهبهم وما ورثوه عن آبائهم.

٢٧-{فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون} فالعقوبة إما ذوق وإما جزاء. الجزاء متعلق بالعمل، فالذوق بالعلم. والقرءان علم وعمل، إما بيان معلومة وإما بيان شريعة، إما عقل وإما إرادة، إما وجود وإما إيجاد. هؤلاء لمّا رفضوا أخذ العلم والعمل من القرءان، أذاقهم وجازاهم بذلك.

٢٨-{ذلك جزاء أعداء الله} فأعداء الله تعرفهم بموقفهم من القرءان المبيّن سابقاً. أعداء الله أعداء القرءان، وأعداء القرءان كل مَن لا يسمع له أو يلغو فيه، يعني إما لا يستفيد منه وإما يغيّر فيه فهذا من صنف ذاك. فعداوة مطلقة وعداوة نسبية، والعاقبة واحدة وهي ترك علم وحكم القرءان. فما الفرق في المحصلة والنهاية بين إنسان يقول "القرءان كلام الله" ثم يُخضعه لعقيدة فرقته ومذهب طائفته، وبين من يقول "القرءان ليس كلام الله فلا آخذ منه علماً ولا حكماً"؟ العاقبة واحدة واختلف الطريق إليها، فالوقوع في الهاوية الواحدة ممكن من جهات مختلفة. ما الفرق بين مشرك يعتقد بالجبر ويقول "لو شاء الله ما عبدناهم" وبين " مسلم" يعتقد بالجبر فيغيّر قول الله "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" فيجعلها وكأنها قالت "فلما أزاغ الله قلوبهم زاغوا"؟ بل ألا يكون المشرك أقلّ جرماً من هذا الذي اعترف أنه كلام الله وعقله ثم اشتغل بتحريفه ليلائم عقيدته. كذلك ما الفرق بين مَن يؤله المخلوق والمحدود بجعل صفات الله كصفات المخلوق من المحدودية، وبين من يعتقد بأن لله حد ثم ينظر في قوله تعالى "ءأمنتم مَن في السماء" فيقول: "هذا شاهد من القرءان على أن الله في السماء"، وما الفرق بين من لا يعقل من الكفار وبين من يختار أن لا يعقل من "المسلمين" فلا يسأل نفسه ولا يبيح سؤال: كيف يكون الله في السماء وهو خالق السماء. باختصار حتى لا نكثّر الأمثلة، ما الفرق بين مَن يعادي القرءان باللفظ والمعنى وبين مَن يعانيه بالمعنى دون اللفظ، وقد عرفنا أن العبرة ليست بالألفاظ والمباني بل بالمقاصد والمعاني والله ينظر إلى القلوب لا إلى الصور والعاقبة المتساوية تجعل المسافرين متساوين في النهاية فإن للحج مواقيت مختلفة والكعبة واحدة. لهذا قلنا أن {أعداء الله} هم أعداء القرءان حسب اتصال الآيات ببعضها، وأعداء القرءان كل مَن لا يأخذ علمه وعمله من القرءان إما بعدم سماعه وإما باللغو فيه بأي لون وشكل وصورة جاء ذلك وبأي حجّة كان ذلك.

{ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد بما كانوا بآياتنا يجحدون} ومن الجاحدين مَن استيقنت نفسه معنى القرءآن ومع ذلك رفضه وأنكره، كالذي يقول لك "نعم القرءان يدلّ على كذا، لكن أجمع العلماء على خلاف كذا" أو يقول لك "الصلاة في القرءان هي كذا، لكن مَن صلّى فقط بالصلاة القرآنية فلا صلاة له وهو في النار بل مرتد يجب استتابته وإلا قتلناه"

أو يقول لك "حتى لو آمنت بكل الرسل والأنبياء لكنك إن لم تؤمن بفلان وعلان من شخصيات التاريخ فأنت كافر في النار وإن لم يذكرهم القرءان"، وأشباه هذا كثير جداً في هذه الأمّة بمختلف فرقها وشيعها وأحزابها. هؤلاء لهم {النار} وداخل النار لهم {دار الخلد}، لماذا؟ لأنهم رفضوا علم القرءان الذي داخله وفي حدوده ستجد حكم القرءان فإن كل حكم قائم في حدود العلم ودائرته، فلمّا رفضوا العلم دخلوا النار، ولما رفضوا الحكم صاروا في دار الخلد، ولما جحدوا الآيات وأصرّوا على ذلك واعتقدوه ديناً ثابتاً لا يتغيّر كان جزاؤهم دار {الخلد} أي خلّدهم في النار لأنهم اعتقدوا وجوب الثبات والإصرار والاستمرار والصبر على آرائهم وأحكامهم غير القرآنية. والجحد أولى بمن اعتقد بأن القرءان كتاب الله منه بمن أنكر أنه كتاب الله لجهله أو غفلته أو ضعف عقله، فإن من اعتقد أنه كتاب الله ثم رفض علمه وحكمه كان أولى بوصف الجحد لأن نفسه مستيقنة ولسانه ناطق بخلاف مقتضى ما يقوم به ويدين به.

...

اجمع معاني هذه الآيات الأربع:

١-{ءأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب}

٢-{ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب}

٣-{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

٤-{وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب}

الجمع: الأولى أثبتت الشك في ذكر الله. الثانية أثبتت أن كتاب موسى اختلف فيه وأهله في شك منه. الثالثة أثبتت أن الذين يأتيهم العلم والوحي من أي أمّة رسول سيختلفون وسيكون فيهم الشك منه.

هذه الآيات أيضاً تظهر في هذه الأمّة. سيوجد من أهل وحي محمد وكتابه القرءان الذي أُنزل من بعد كتاب موسى، سيكون حتى في الذين جاءهم العلم يعني ليس في الذين هم خارج دائرة العلم بل في الذين ثبت أنه {جاءهم العلم} الشك منه. فما علامة هؤلاء؟

العلامة الأولى: قولهم في مَن يأتيهم بفهم لذكر الله غير ما عندهم وما ورثوه ممن قبلهم من أهل فرقتهم {ءأنزل عليه الذكر من بيننا}، يعني لن ينظروا في ذات القول، بل سيحتجون بأن هذا الشخص لا يمتاز عنا والله لا يمكن أن يفضله علينا بشيء يعطيه إياه غير ما عندنا. طعن في الأشخاص.

العلامة الثانية: اختلافهم في القرءان اختلافاً يؤدي بهم إلى التنازع نزاعاً لا يحلّه العلم، ولا يكفي العلم لحلّه والعلم هنا هو الموجود في الوحي. بمعنى أنهم سيجلبون أموراً من خارج القرءان ومن أجل تلك الأمور سيتنازعون ويختلفون ويتفرقون.

العلامة الثالثة: البغي بين الفرق. بمعنى أنهم لا يتوحدون بالقرءان، بل بينهم أحقاد شخصية ومطالب دنيوية من أجلها يخترعون قضايا دينية ليبغي بعضهم على بعض ظاهراً بسببها.

العلامة الرابعة: الشكّ في القرءان. وترى هذا في ثنايا كلامهم وفلتات لسانهم أو حتى في تأصيلاتهم وتنظيراتهم الدينية، حيث تجدهم يشكّون في أصل الوحي حين تصدر الدعوى به أو الدعوة إليه من أحد أهل عصرهم ويطعنون فيه بالجنون والسحر وبغير ذلك، فيزعمون أنهم يؤمنون بالرسول صاحب القرءان لكنهم يشكون في الواقع في أي إنسان يأتي بمثل تلك الدعوة أو الدعوى شكاً يبرز منه شكهم في أصل فكرة الوحي وليس في الحالة الخاصة التي يواجهونها. وكذلك شكهم في إمكانية فهم الكتاب بالوحي الإلهي الحي والإلقاء الروحي المعاصر لهم، فيزعمون أنهم يؤمنون بوحي القرءان ووحي الرسول في فهمه وتطبيقه لكنهم يكفرون بما وراء ذلك وينكرونه إنكاراً إن دققت فيه ستجد فيه شكاً في أصل الوحي. ومظاهر أخرى.

...

سورة الزخرف ٢٠-٢١. لما عبد بعض الناس الملائكة، ردّ الله عليهم فقال {ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون. أم ءاتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون.} فقالوا {إنا وجدنا ءاباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مهتدون}.

رد القرءان عليهم يكشف أن أي عبادة، والكلام هنا ليس عن العقيدة بل عن العبادة بالتالي هي العقيدة المفعّلة بالعمل، {وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أشهدوا خلقهم ستُكتسب شهادتهم ويُسألون.} فهذا الجعل من العقيدة، لكن قالوا بعدها {لو شاء الرحمن ما عبدناهم} فهذا عمل وتفعيل للعقيدة فهو شريعة إن شئت.

رد القرءان يكشف أن العقيدة والشريعة، أو الفكرة والعبادة، أو العقل والعمل، كله لابد من أن يرجع إلى واحد من ثلاثة أصول حتى يكون سليماً. ومَن تمسّك بواحد من هذه الثلاثة أو بها كلّها فهو آمن عند الله يوم القيامة وله حجّته إن صدق في معرفته وتمسّكه.

الأصل الأول {أشهدوا خلقهم} وهو الشهود. فمن شهد شيئاً فشهوده حجّة له. ولذلك قال " أفتمارونه على ما يرى" فاستنكر ذلك منهم. فمن رأى فقد رأى وما رآه حجّة له وعليه. الشهادة حجّة كافية للشاهد.

الأصل الثاني {ما لهم بذلك من علم} فهنا العلم. قد نقول بأن العلم ثمرة الشهادة، أي الشهادة هي العمل وينتج عنه العلم الصحيح كما قال إخوة يوسف "ما شهدنا إلا بما علمنا" إلا أن هذه الآية بالعكس فإن علمهم كان بسبب الحس والشهادة ما قالوه بعد ذلك، فالحواس أدركت واللسان نطق بحسب ما أدركت الحواس، فسمّى ما رأوه بحواسهم علماً وما نطقوا به بناء على ما رأوه من أمر أخيهم وصواع الملك شهادة، لكن في الأمر الوجودي الأمر بالعكس كما هو في حالة الملائكة حيث أن شهود خلق الملائكة ينتج علماً بأنهم إناث أو غير إناث مثلاً. لكن بناء على أن اسم العلم ينطلق في القرءآن على الوحي، كما في "أوحينا إليك...جاءهم العلم"، فيمكن أن نسمّى العلم أصلاً مستقلاً على اعتبار أنه الوحي الإلهي إلى الفرد في نفسه. فمن أوحى الله إليه بشيء فهو علم بالنسبة له وهو حجّة له.

الأصل الثالث وهو أهمّ ما نريد التركيز عليه في هذه المقالة هو قوله تعالى {أم ءاتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون} كالقرءان بالنسبة لنا. فمن ادعى دعوى في أمر علمي أو حكمي، عقيدة أو شريعة، نظرية أو سلوك، سمه ما شئت، وكان في ذلك له مستمسك من كتاب الله فهو حجّته عند الله. والله جعل الكتاب حجّة كافية في حال توفّرت لمن ادعى أن الملائكة إناث وعبدوهم، فقال {أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون} فدلّ على أنه لو كان عندهم كتاب من عند الله فيه ما قالوه في الملائكة وما قاموا به بسبب تلك المقالة لكان كافياً. وعلى هذا الأصل نقول بكفاية الاستشهاد بكتاب الله على أي قضية علمية أو حكمية، ولصاحب الاستشهاد حجّته عند الله وإن خالفه الناس في الأرض، إن عرف الكتاب على وجهه ولم يحرفه لحاجة في نفسه الأمّارة بالسوء وهواه. فما رآه في الكتاب فهو حجّة له عند الله وعليه، وإن خالفه الناس فله الدعوة إلى قوله والعمل به في خاصة نفسه، لكن إن اعتدى على أحد في جسم أو مال بسبب قوله فيؤخذ بعدوانه في الأرض بسبب فعله وأما قوله فهو حر فيه وهو راجع فيه إلى الله. مَن أخذ مالي لأنه يعتقد بأن الله أباحه إياه كقولهم "ليس علينا في الأميين سبيل" فلا أبالي بما اعتقده ولي حق الدفاع عن مالي، لكن إن كان صادقاً في اعتقاده وما يراه في كتاب الله الذي وصله فلعل ذلك يعذره عند الله ولعل الله يصلح بيني وبينه

يوم الدين فأقبل عذره لأني أُجلّ أهل كتاب الله وأصحاب القصد الحسن الصادقين إن كشف الله لي عن صدقه يوم الحساب. الحكم في الدنيا بين الناس ليس كالحكم في الآخرة عند الله. في الدنيا كل إنسان لابد أن يكون حراً للدعوة إلى فهمه في كتاب الله والعمل به في خاصة نفسه ومن يرضى به معه، وإلى هذا الحد فقط، فإن اعتدى جاز الاعتداء عليه بمثل ما اعتدى به. إلا أن أهم ما نريد التنبيه عليه من هذه الآية هو أنه يكفيك الاستمساك بما في كتاب الله. ولا شيء بعده، في كل أمر إيماني أو عملي.

...

من سورة الأحقاف.

١-٢-{حم. تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم} الحرف أساس الكتب. والكتب أساس الاتصال بالله والصلاة له.

٣-{ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمّى والذين كفروا عمّا أُنذروا مُعرضون}

{السموات} درجة الوارث الظالم لنفسه، {الأرض} درجة الوارث السابق بالخيرات بإذن الله، {وما بينهما} درجة الوارث المقتصد.

{إلا بالحق وأجل مسمّى} فهنا حق ووقت. لذلك قال "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً" وقال "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا". فالصلاة كتاب تقرأه في وقت حدده الله. فالقراءة تكشف الحق، والوقت ينبّهك على قضية الأجل المسمّى للخلق وهو تذكير لك به، فكما أن الحق ينكشف لعقلك حين تقرأ القرءان في هذه الأوقات كذلك الحق سينكشف للعالَم كله حين يشرق نور ربنا يوم القيامة حين تأتي الساعة. معرفة الحق في أوقات الصلاة تذكير بتجلي الحق يوم تقوم الساعة.

{والذين كفروا عمّا أُنذروا مُعرضون} الإنذار الذي جاء في القرءان، أعرضوا عنه ورفضوا الكتاب، ولم يتنبّه الكثير من المصلين الساهين عن معنى ربط القراءة بالوقت وأنه مَثَل للحق والأجل المسمّى للخلق.

٤-{قل أرءيتم ما تدعون من دون الله} كما أنه في الصلاة القرآنية يوجد دعاء بعد قراءة الآيات، فذكر هنا الدعاء بعد الآية السابقة التي تأويلها في الصلاة.

{أروني ماذا خلقوا من الأرض} أهل القرءان ينظرون في الأرض الآفاقية فيرون أمثال دينهم، فماذا عنكم يا مَن هجرتم القرءان ماذا ترون في الأرض؟ كذلك في القرءان الأحكام العملية الدينية كلها، فأروني ما الذي جاء به الذين اعتمدوا على غير القرءان كمصدر للتشريع.

{أم لهم شرك في السموات} أهل القرءان روحهم موحدة لربها، ولا يملك روحهم الحرة من الخلق إلا الحق تعالى.

{ائتوني بكتاب من قبل هذا} لاحظ أن الكلام عن الكتاب، وكذلك عن مضمون الكتاب.

{أو أثارة من علم} فالكتاب مثل الأرض، والعلم مثل السموات. فالأرض والسموات في الآفاق، والكتاب والعلم في الأنفس.

{إن كنتم صادقين} فحدد معيار الصدق بوجود أمثال في الآفاق وفي الأنفس. إما في السموات وإما في الأرض وإما في الكتاب وإما في العلم.

العلم مجرّد والكتاب تجسيده، والعلم فوق الكتاب وإن كان الكتاب أقرب للناس من العلم كما أن الأرض أقرب لهم من السماء. الكتاب قيمته لأنه جمع العلم النازل، كما أن الماء في الأرض نزل من السماء.

أهل الصلاة الحقة هم الذين ينظرون في الأرض وفي السموات، ويقرأون الكتاب ويعقلون العلم. هذه صلاة أهل الله والتوحيد. وأما أهل الشرك فلا يكون هذا شأنهم عادةً أو مطلقاً.

٥-{ومَن أضلّ ممن يدعوا من دون الله مَن لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلين}

تكملة الدعاء. فالدعاء بعد الصلاة القرآنية مؤسس على عدم وجود أمثال للمدعو في الآفاق والأنفس، وعلى عدم وجود تجربة تؤكد وقوع استجابة الدعاء من المدعو. الأمثلة والتجربة هما شاهدا الإله الحق.

١٠-{قل أرءيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم} مَن هذا الشاهد من بني إسرائيل؟ هو الذي بيّنه في الآية ٢٩ حين قال {صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرءان} وكان من قولهم {إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى}. فالجن من بني إسرائيل.

٩-{قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم إن أتّبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين} هذه الآية في الروح، فإن الرسل مظاهر الروح، والروح مربوب لله ليس له تصرف

إلا بحسب تدبير ربه له، والوحي روح، والإنذار المبين عمل الروح. وطبعاً {قل} شعار الروح. هذا مستوى الروح من الكتاب الإلهي.

١٠-{قل أرءيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله} هذا مستوى الأمثال من الكتاب الإلهي، والكفر الكفر بالأمثال "ولقد صرفنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا".

١١-{وقال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه} فهذا مستوى اللسان، مستوى سابق بالخيرات بإذن الله. والذين كفروا هم أهل الحس وهؤلاء الذين يفكرون بمنطق السبق إلى الخير فهم أهل الظاهر الدنيوي.

١٢-{ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة} هذا تنزل للروح، والقرءان تنزّل آخر، فهو ليس بدعة لأنه له مبدأ عالي حقيقي.

{وهذا كتاب} الروح. {مصدق} بالأمثال. {لساناً عربياً} اللسان.

١٣-{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا}

{قالوا} مَثل لأن القول ما بين العقل والحس كالمَثَل.

{ربنا الله} روح، "الروح من أمر ربي".

{ثم استقاموا} لسان الفعل التابع والآخر.

١٤-{أولئك أصحاب الجنّة} روح.

{خالدين فيها} قول ومَثَل. "يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت" "سنّت الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً".

{جزاء بما كانوا يعملون} الفعل الظاهر.

١٥-{ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً} إلى قوله ١٩-{إنهم كانوا خاسرين}.

الوالد هو الداعي. والداعي إما بالأمر {ويلك آمن}، وإما بالخبر {إن وعد الله حق}.

قال الولد {ما هذا إلا أساطير الأولين} كقوله تعالى قبلها "ائتوني بكتاب من قبل هذا"، فقول الولد {ما هذا} يشير إلى كتاب الله هذا أي القرءان، رماه بأنه أساطير الأولين.

{من الجن والإنس} فهو جنّ لأنه نظر إلى الظاهر فقط بدون الروح فقال أنه أساطير، وهو إنس لأنه تفكر وإن أخطأ في قوله "أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي" فهنا عملية تفكير وإن كانت من قبيل "إنه فكّر وقدّر.فقُتل كيف قدّر".

٢٦-{ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله}

الصلاة بثلاثة: سمع وبصر وفؤاد. إما تسمع الآية ثم تراها وتعقلها، وإما تبصر الآية كأن تقرأها مكتوبة أو تشهدها مخلوقة ثم تعقلها. فهذه أركان الصلاة، سمع وبصر وفؤاد، وهي النفس والباطن. فمن صار من أهل الدنيا واقتصر على الحس ولم يحسن التعقل لعدم إرادته شيئاً سوى الحياة الدنيا الطبيعية والحسية، فلن ينتفع بآيات الله لا المخلوقة ولا المنطوقة ولا المكتوبة.

٤-{ائتوني بكتاب من قبل هذا} إما أنه لا يوجد كتاب قبل هذا، وإما أنه لا يوجد كتاب على الأرض يدل على غير التوحيد والحق قبل هذا.

٣٥-{فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم} هذا في آخر الأحقاف. وبعدها في أوائل محمد قال {فضرب الرقاب}. كيف الجمع؟ الجواب: لا تستعجل بالدعاء عليهم بالهلاك ولا بإرادة حلول العاقبة الأخروية عليهم بفعل الله، لكن قاتل من أجل رفع الإكراه وفك رقاب الناس وتحريرها. الصبر في الدين هو الحرية أي لا إكراه لهم، والضرب في الدنيا للتحرير أي لرفع الإكراه منهم. قال في محمد "وكأين من قرية هل أشد قوة من قريتك التي أهلكتك أهلكناهم فلا ناصر لهم" فضرب الرقاب كان من أجل الإخراج من الديار والقتال على القول والدين، وأما الصبر فيتعلق بالإيمان وفعل الله.

...

مرّة قال {الكافرين لا مولى لهم} ومرة قال {النار هي مولاهم} كيف الجمع؟

١-النار عدم. {الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم} فالله وجود ونور وحق، فهو إثبات. بينما {الكافرين لا مولى لهم} فهم في عدم من هذا الوجه.

٢-نفى {مولى} بالمذكّر. وأثبت لهم {مولاهم} بالمؤنث إذ قال {هي مولاهم}. فما نفاه غير ما أثبته فلا تناقض من هذا الوجه.

٣-المولى إما موصل للسعادة وإما موصل للشقاء، لأنه من تولى الشيء بمعنى تصرف به بنحو ما. والتصرف إما نحو السعادة وإما نحو الشقاء. فقال {الكافرين لا مولى لهم} حين ذكرى مولوية الله للذين ءامنوا وهي النصر والإسعاد فنفى عن الكافرين مثل هذه المولوية، لكنه أثبت لهم مولوية النار لأنها تشقيهم وتعذبهم.

...

{أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل} فكتاب الله فيه ذكر الله وفيه الحق. فمن أراد أن ذكر الله فعليه بتلاوة الكتاب، ومَن أراد العلم بالحق والعمل به فعليه بدراسة الكتاب.

...

{يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور}

مَن هؤلاء الذين نهانا عن توليهم؟ لا يمكن أن يكونوا من الكفار لأنه ضرب لهم مثلاً بالكفار حين قال أنهم {يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار} فلو كانوا الكفار لكان التقدير: لا تتولوا الكفار الذين هم مثل الكفار. وهذا لغو. فلابد أن يكون هؤلاء من هذه الأمّة يعني من الذين أسلموا لكن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ومن حيث عدم دخول الإيمان في قلوبهم فهم مثل الكفار، أي هم المنافقون. فما علامتهم؟

العلامة الأولى {غضب الله عليهم}. لكن كيف نعرف أن الله غضب عليهم؟ بيّن الله لنا علامات غضبه في القرءان، ومن أبرز أدلة ذلك أنهم يكرهون الصلاة ولا يذكرون الله ولا يقرأون القرءان قراءة تدبر وتذكر. لأن القرءان جاءهم ثم تركوه استحقوا الغضب. خلافاً للضالين الذين ضلوا عن الوحي أصلاً.

لكن علامة الغضب خفية ولذلك ضرب مثلاً حتى يبرز الأمر أكثر. فوضع علامة ثانية وهي قوله {قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور} فهم الذين لا يؤمنون بالآخرة. لكن كيف تعرف أن شخصاً يئس من الآخرة؟ هل ستشق عن قلبه؟ الدليل قوله "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم"، يعني هم الذين لا يعلمون باطن الحياة الدنيا، ولا يعرفون النفس، ولا يشتغلون بذلك ولا يرفعون به رأساً. هم أهل الظاهر. هؤلاء في النفس مثل الكفار مع الحس، الكفار يئسوا من بعث المحسوس وهؤلاء يئسوا من بعث النفوس.

...

شاهدان من قول الله تعالى على أن المُلك هو عالَم الظاهر والطبيعة.

١-{خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون}

أقول: لاحظ أنه افتتح بكلمة {خلقكم} ثم ذكر الأزواج والتناسل وهو طبيعي، ثم ذكر الأنعام وهذا ظاهر أنه طبيعي، ثم ذكر الخلق في بطون الأمهات وهذا طبيعي أيضاً، ثم قال {له الملك}. بالتالي، الملك هو عالَم الطبيعة والأجسام البشرية والحيوانية.

٢-{يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير}

أقول: ذكر الليل والنهار والشمس والقمر وهذه كلها مخلوقة طبيعية. ثم قال {له الملك}.

بناء على ذلك، الملك هو عالَم الطبيعة، فالملكوت عالَم ما وراء الطبيعة.

...

كنت كتبت أكثر من مرّة أنه لابد من تأليف كتاب عن حروف المعاني في القرءان يكون كالمعجم المفهرس لألفاظ القرءان الكريم الذي ألفه الأستاذ عبد الباقي رحمه الله. فمن فضل الله تعالى العظيم عليّ بالأمس، ذهبت مع صاحب لي أخذني إلى مكتبة، فوجدت فيها غناء وزيادة عن كل مكتبتي التي اضطررت إلى تركها خلفي حين هاجرت فالحمد لله وصدق نبي الله القائل " من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه"، فلما وصلت دفعني شيء من قلبي للذهاب إلى آخر المكتبة من جهة اليمين والمكتبة كبيرة وكان لدينا وقت قصير نحو ساعة وصنف قبل الإغلاق، ومن بين أكثر من عشرة آلاف عنوان فجأة أنظر فأرى أمامي هذا الكتاب الجليل: {معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم} وعنوانه الفرعي {تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم} وضعه الدكتور اسماعيل أحمد عمايره والدكتور عبدالحميد مصطفى السيّد رضي الله عنهما وبارك فيهما وأسعدهما في الدارين، فلم أتمالك نفسي حتى بكيت من الفرح، فالحمد لله، وبالمناسبة الكتاب من منشورات مؤسسة الرسالة، وأنصح كل مؤمن محب للقرءان ودراسته أن يقتني المعجم المفهرس للألفاظ وهذا المعجم المفهرس للأدوات والضمائر الذي جاء أفضل حتى مما كنت أتصور حين كتبت لأني إنما أردت الأدوات فإذا بالدكتورين يضيفان الضمائر فهذه نعمة أعظم مما كنت أتخيّل فالحمد لله وشكر الله سعيهما وسعي كل خدّام القرءان.

لتكملة الفائدة: كان خطر ببالي أيضاً قبل أسابيع رغبة قراءة كتاب يجمع أحاديث وأخبار السيدة فاطمة عليها السلام، وقبل أيام شاهدت حلقة لشخص يتحدث وأمامه كتاب شمس المعارف وكتاب منبع أصول الحكمة للشيخ أحمد البوني قدّس الله نفسه فأردت الحصول على كتاب الحكمة لأن الشمس عندي بفضل الله. فلما ذهبنا إلى المكتبة وجدت بدون بحث وتنقيب خاص بل هكذا بدون تدبير منّي وكذلك في آخر لحظة قبل الخروج كتاب الشيخ جلال الدين السيوطي المسمى مسند فاطمة الزهراء وكذلك كتاب الحكمة للبوني. وكل هذا جاءني أيضاً بهدية من صاحبي الذي أخذني بالإضافة إلى كتب أخرى كثيرة بحمد الله. فأنا غارق في النعمة، وأسأل الله أن يتوكّل عنّي باسمه الشكور في شكره نفسه فإني عاجز عن الوفاء بشكر نعمه وتعويضه وزيادته على ما كنت آمل وأتخيّل.

...

(هذا حوار دار داخل عقلي)

قال صاحب علم طبيعي: لماذا تشتغل بدراسة القرءان وعلم ما وراء الطبيعة بدلاً من بذل جهدك وعقلك في العلم الطبيعي وتضييع عمرك؟

قلت: لماذا تدرس أنت علم الطبيعة؟ وما أقصى ما تأمله من ذلك؟

قال: حتى نعرف الطبيعة على وجهها.

قلت: ثم ماذا؟

قال: حتى نتصرف فيها.

قلت: ثم ماذا؟ ما نهاية التصرف في الطبيعة؟ لنفرض أنك عرفت كل قوانين الطبيعة وأسبابها، واستطعت صناعة كل التقنيات وكل أمر تريده، فما نهاية ذلك؟

قال: نعيش مرتاحين ونتلذذ.

قلت: ثم ستموت أليس كذلك؟

قال: على الأغلب نعم، لكن قد نجد حلاًّ للموت فنعيش إلى الأبد في الطبيعة بسلام من كل مرض وحاجة وتعب بل في لذة خالصة.

قلت: إن وقع الأغلب وهو موتك، انتهى أمرك. وأما أعمل لما بعد الموت.

وإن حصل تجاوز الموت البدني، جدلاً، فإن أقصى ما تحصّله هو وسيلة للتلذذ وهو الشعور الحسن. وأما أنا فأجد الشعور الحسن هذا وأقصى منه الآن، لأنني أستطيع تجربة اللذة الحسنة مع كمال الصحة والعافية والوفرة الآن ومع ذلك أجد لذّة دراستي القرءان وأمور ما فوق الطبيعة أعلى من تلك اللذة، فلا داعي لانتظار أمر سيأتي وأنا أعرف منه الآن ما يكفي. فما تريده أنت بعد طريق طويل ومجهول، أنا أجده الآن بطريق قصير ومعقول.

قال: فهل أنت ضد علم الطبيعة؟
قلت: كلا. بل علم الطبيعة أساس من أسس علم ما فوق الطبيعة. لكن من حيث المهنة أنا لست من علماء الطبيعة، فيكفيني مساهمتي في المجتمع بهذا القدر، كما أنك تساهم من حيث دراسة الطبيعة وصناعة التقنية.

...
قالت: كنت بقرأ للغزالي وصادفني قوله: أن قتل واحد من الباطنيَّة أفضل من قتل مئة كافر. وتبحرت في تفصيله عنهم وصعقت. لا يُعقل ! كيف يكون من رأية أنّ لظاهر القرآن باطن كافر فضلاً عن أنه ألعن منه.

قلت: الغزالي كان موظف وتابع المملكة العباسية وفرعها الدولة السلجوقية، وكانت الباطنية حينها هم أتباع الدولة الفاطمية. فباختصار، القضية سياسية. والغزالي كان موظف داعية للعباسيين.

...
قال: هل ممكن يكون هناك اولياء من غير المسلمين. وايضًا اتخيل اذا شخص وجد نفسه بالصحراء جاهل لا يعرف شيء ولكن في داخله شعور البحث عن حقيقته ومصدره. وفي النهاية وصل للحضر بكتاب ودين مكتوب من تجربته وبحثه ماذا سيكون في ذلك الكتاب.

قلت: سيكون من المسلمين بالفطرة وإن كان لم يعرف إسلام الديانة العربية وسيكون في الكتاب كلاماً عن حقيقة الوجود الأخروي والنفس وطريق التزكية والخلاص.

...
قالت: كيف تكون معرفة الله جبر للقلوب المنكسره؟
قلت: لأن كل أسباب كسر القلوب ناتجة عن عدم أو قلة المعرفة بالله.

...
اشتكت من والديها وسوء معاملتهم وسيئاتهم وهل لها أن تتركهم وتذهب،
فقلت: صاحبيهم واصبري طالما ما بيؤمروك بشرك ومعصية لما كنتي طفلة وصغيرة كنتي برضو بتتذمري وتبكي وسهرتيهم الليالي وعذبتيهم كثير بالتأكيد ككل طفل، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، تخيلي لو عملو فيكي بسبب تعذيبك لهم مثل ما كثير يعملو في أولادهم إما يرموهم في الشارع أو يقتلوهم أو يبيعوهم أو أو. احمدي الله على وجودهم متذمرين ، ففي ناس مستعدين يقطعو يدهم مقابل يعرفو مين أبوهم وأمهم مو بس يجلسو

معهم بل بس يعرفوهم. اصبري وحاولي تبتعدي من الأمور الي يكرهوها وادعي الله بسلمك المجلس قبل تجلسي معاهم.

فذكرت مزيد من السيئات الخبيثة لهم،
فقلت بعدما استخرت لها وخرجت لها آية "عباد أمثالكم": ما أعرف كل تفاصيلكم حتى أعطيكي رأيي مفصل لكن في الجملة هم عباد مثلك، ولا توذي نفسك عشانهم، واهتمي فيهم بقدر استطاعتك.

...
إن لم نُقم كتاب الله في أمر الصلاة فلا حجّة لنا في أمر سواه.

...
قالت: لماذا يوجد دعاء على الآخرين في الدين؟
قلت: أوّلاً لإحلال السلام بين الناس. لأن الإنسان إن أراد الانتقام فإما أن يضرب بجسمه أو يضرب بكلامه وهو أرقى، فالبرابرة يضربون بالجسم، والمتحضرين يضربون بالكلام، لكن الراقين يضربون بالدعاء فيتركون مَن يريدون الانتقام منه سليم الجسم والنفس من جهتهم، ويحيلون الأمر إلى ربهم وهو يفعل ما يشاء، وأثر ذلك عملياً هو السلام الاجتماعي أو مزيد من السلام.
ثانياً، رفض الخضوع للعالَم والخلق. فالإنسان في الطبيعة والمجتمع متعرض دائماً لأسباب تقهره وتعاكس مراده. فحتى لا يخضع لهذه الأسباب الكونية، من باب إخلاص التوحيد لله المتعالي، فإنه يرفض التسليم بما يحدث له في الكون بحكم القهر. لكن حين لا توجد بيد الإنسان حيلة ولا قوة لدفع الأسباب الكونية، فالطريق إما الخضوع لها وإما رفضها نفسياً مع الذل تحتها والشعور بالهزيمة وإما بالدعاء على السبب القاهر حتى يقهره القهار جل وعلا. فالدعاء على الطبيعة والبشرية هو من إخلاص التوحيد والحرية.
ثالثاً، تطهير وتذكير الظالم في الدنيا قبل الآخرة. إذا ظلمك إنسان، فأمامه عقوبة أخروية، لكن إن أخذت حقّك منه في الدنيا فقد يُسامَح بما في الآخرة من باب الكفّارة. كذلك فيها تذكير للظالم حين يرى أثر ظلمه بدعائك عليه ويشعر بالخضوع تحت قهر القهار سبحانه، فإن هذا قد يدعوه للتوبة والشعور بعدم إمكان السعادة المطلقة في الدنيا فينجو بذلك في الآخرة بإذن الله. فالدعاء على الظالم من الرحمة بالظالم من وجهين، التطهير والتذكير.

...
قال: هل الدين ثقل غير فطري على النفس؟ هل فيه إيذاء للنفس والعقل؟

أقول: حسب نوعية الدين. فمن الدين ما يؤذي النفس، ومن الدين ما يقوي النفس "يزدكم قوة إلى قوتكم" وهذا دين الرسل. مدار دين الرسل على أن كل شيء مبني على التعقل والقبول الطوعي الإرادي ومشاهدة الحقيقة التي تنبني عليها الحقوق.

نعم، الإيمان بالإله المتعالي القهار، الذي عنده جنّة ونار، قد يراه البعض من وجهة نظر واحدة وليس من كل وجهات النظر أنه نوع من قهر النفس وإذلالها. لكن فكّر في الأمر، هؤلاء أنفسهم سيقولون لك من جهة أخرى أن سبب قبول عامّة الناس للدين بشكل عام هو أنهم يجدون فيه راحة نفسية. كيف يكون هذا إذن، من جهة يقولون أن الدين يؤذي ويرهق النفس، ومن جهة أخرى يقولون أن الدين يريح وينعّم النفس. الحق أنه كذلك من جهتين مختلفتين. ولا مجال للفرار من قبول ذلك سواء آمنت أم لم تؤمن. لأن الذي لا يؤمن، نعم قد يشعر بنوع من الراحة من حيث أنه يرى الطبيعة والمجتمع ولا شيء غير ذلك ويعتبر الموت إعداماً، لكن هذه الرحلة العدمية في الوجود لن تريحه إلا قليلاً، سيضطر من جهة إلى إقامة نوع آخر من التدين أو أشباح الدين لكن بطريقة طبيعية واجتماعية فيدخل بالوهم فيما خرج منه باليقين، كأن يجعل المجتمع هو جنّته وناره والطبيعة هي إلهه وقاهره والموت هو قدره المحتوم. ثم إذا بدأت الأسباب القاهرة في الطبيعة والمجتمع تغلبه وتدوس عليه ويشعر بخسارة فرديته بسبب ذلك وكونه قطرة في محيط يستهلكه، فسيضطر إما إلى نوع من السوداوية العدمية وإما إلى توسّل أشباح دين مخترع كدواء مسكّن في العادة. الإيمان ثقيل من جهة لكنه يخفف ثقل الطبيعة والمجتمع من جهة أخرى، ودين الدين نفعه أكبر من ضرره وثقله وهمّه على أقلّ تقدير. أن تجد في كل ذرّة في الوجود معنى وعبرة بسبب نور الإيمان، وتشعر بشيء من ثقل الإيمان في نواحي محددة، أفضل بمراحل فلكية من انعدام المعنى مطلقاً واليأس من معرفة حقيقة الوجود ومن تحقق مراد النفس بأقصى درجة يأساً مطلقاً. لكل اختيار ضريبة، وضريبة سعادة الدين في ثقله وجهاده. لكن اختيار الكفر ضريبته أشدّ وحال صاحبه ظلمة طاغية مع شيء من النور إذ الله أكرم من أن يدع مخلوقاً بلا نور مطلقاً وهو "نور السموات والأرض".

في ديني، لا أعلم ثقلاً إلا وهو أخفّ من ثقل عدم حمل ثقله. يعني لا يوجد تكليف إلا وله من الحكمة ما يجعله أفضل من ما سواه من الاختيارات التي لا تكليف فيها. ولو ثبت أن أمراً ما أفضل مما جاء في الشريعة، فإن أصول الشريعة وهي من الشريعة تقضي بأخذ ذلك الأمر الأفضل إن ثبت كذلك حقاً. فالشريعة بأصولها ومقاصدها تدعوني لأخذ ما يخالف الشريعة في جزئياتها إن ثبت أنها أعقل وأهدى. فليس في ديني حرب ما بين عقلي وديني. ديني دين العقل الأعلى، فأينما كان العقل أعلى والهدى أسنى فَثَمّ دين الحق.

لا يعرف نعيم الدين إلا مَن أذاقه الله حلاوة الإيمان ثم نزعها منه ولو لساعة ليرى الفرق ثم ردّها إليه، فهذا هو الذي يعلم يقيناً أن كل أثقال الدين مع الدين أهون من عدم الدين ولو ساعة من نهار. وأنا على ذلكم من الشاهدين. ث

قل الدين جهاد لكن ثقل انعدام الدين شقاء، والجهاد خير من الشقاء للنفس.

...

{عليك اللعنة} ما هي لعنة إبليس؟ إذا أبدلت ترتيب حروف "لعن" ستجد نعل وعلن. اللعنة أمر إلهي غيبي، كالتمكين والنصر وبقية الأمور، فإذا ظهرت في العالَم تجلت بأسباب ومظاهر خاصة وآثار ذات كيفية محددة. إبليس نظر إلى لباس آدم وهو طينه ولم ينظر إلى نفسه وروحه، أي هو من الظاهرية.

فمن آثار اللعنة أنه يصبح نعلاً، بمعنى يصبح تركيزه على النعل أي آلات البدن وما يضاف إليه من خارجه، فالبدن أسفل ما في ذات الإنسان، لكن النعل والزينة واللباس والأموال وما أشبه هي كلها في مرتبة النعل التي هي الأداة والآلة الجسمانية المنفصلة عن الجسم والمتصلة بها من خارجه، فالبدن أسفل وأسفل الأسفل ما يضاف إليه من خارجه، وهذه نهاية اللعنة. ومن هنا قال عن قارون {فخرج على قومه في زينته} لم يقل شيئاً ولم يفعل أكثر من إرادة الناس أن يروه {في زينته}، فهذا أسفل سافلين، لأنه لم يفتخر وينبسط حتى ببدنه بل بـ{زينته} والزينة مضافة على البدن من خارجه كالنعل، وهو مفتقر إلى قومه حتى يهتمّوا به ويشعروه بقيمته عبر زينته، وهذه نهاية الفقر والبؤس، لأنه يعلم أنه لو بقي في داره وحده ووضع زينته فلا قيمة ذات شأن لها، فالزينة تجد قيمتها حين يراها ويتحسّر على عدم وجود مثلها عنده مَن هو مفتقر إليها {قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم} هذا القول وهذا الشعور الناري الذي يشعر به هؤلاء الفقراء من أهل الدنيا هو الذي يتغذى عليه قارون ويجعله يشعر بقيمته النفسية. فيا للبؤس والقبح.

ومن هنا ترى المعنى الثاني المرتبط باللعن وهو العلن، أي العلنية وإرادة الشهرة لتحصيل ذلك الشعور والاعتبار، فالعلن ضد السر والملعون لا يجد نعمة في السر والخلوة والعزلة والانقطاع بنفسه، تبطل قيمته عند نفسه بمجرد اختلائه بنفسه. فالمجتمع نعل نفسه، أي المجتمع هو الذي يجعله يرى قيمة لنفسه ووجوداً معتبراً لذاته. فكما وسّط زينته كإضافة لبدنه، كذلك وسّط مجتمعه كإضافة لنفسه. فالزينة نعل، والمجتمع نعل آخر. وأما المستنير فإنه مخاطب بكلمة {فاخلع نعليك} فهذا الخلع مظهر وبداية النعمة والرحمة المضادة للّعنة. {إنك بالواد المقدّس} لاحظ {إنّك} بالمفرد، فحتى وهو منفرد متجرّد يرى القدسية والنورانية والبركة.

لذلك كانت عقوبة قارون {خسفنا به وبداره الأرض} فخسف به جزاء اتخاذه الزينة، وخسف بداره جزاء اتخاذه قومه، كوسيلة لقيمة نفسه بدلاً من الصلة بربه. فلما خسف نفسه خسف الله به، {جزاءً وفاقاً}. هبط إلى البدن ثم هبط إلى الزينة، وهذا خسف بعد خسف. هبط إلى الغيرية ثم هبط إلى قومه، وهذا خسف بعد خسف. فأعطاه الله مما سأل بلسان حاله وإن لم يسأله بلسان مقاله، نسأل الله العافية والتبصرة. فقارون طلب الخسف وسأله بلسان فكره وسلوكه. فقارون إبليس موسى، كما كان إبليس لآدم. ولكل نبي {عدوا من المجرمين} يعيد قصّة آدم معه بشكل أو بآخر والجوهر واحد.

...
النطق بالكلمة يجعل الوعي يتشكل ويتحول بحسب الكلمة، فأنت ما تقول. بدون الواقع الخارجي كمعيار فاصل وحاكم قاهر فإن كل كلمة تساوي كل كلمة أخرى بالنسبة للوعي. {أم للإنسان ما تمنّى} مبنية على إنكار الواقع الخارجي كحاكم على الكلمة.

...
القراءة تقوى القلب، وَالكتابة تقوى القالب. القراءة باطن وَالكتابة ظاهر. القراءة عقل والكتابة عمل. والنعمة أن تقرأ بربك وبمعيته وَتكتب به وبإمداده. الباقي خادم أو حشو.

قال: ما معنى "الباقي خادم أو حشو"؟
أقول: يعني كل ما سوى القراءة والكتابة بالمعنى الذي بيّنته هنا هو إما سبب طبيعي أو اجتماعي تخدم به تفرغك وقيامك بالقراءة والكتابة، وإما هو حشو ولغو وعمل زائد لا قيمة له ينبغي نحره والتخلص منه لأنه عائق عن عملك الجوهري كعبد الله ورسوله.

...
حسبت بالأمس بعد الفراغ من كتابي {الصلاة من كتاب الله}، في كم دقيقة يمكن إقامة الصلاة التقليدية وفي المقابل كم صفحة من القرءان يمكن أن تتلو تلاوة نفسية متوسطة السرعة مع حضور على أساس أن تلاوتك في الصلاة التقليدية أيضاً سطحية غير تدبرية في العادة. فخرج لي التالي: ٥ دقائق للقيام بصلاة من أربع ركعات، في مقابلها ١٠ صفحات من القرءان. على هذا، كل دقيقة تقريباً تقيم فيها ركعة يمكن أن تقرأ فيها صفحتين. يعني بدلاً من ١٧ ركعة في اليوم، تتلو على الأقلّ جزءاً من القرءان مما يعني أنك ستختم ختمة كل شهر. فانظر إلى الفرق العظيم بين الأمرين. فلو كان المسلمون يتلون القرءان بدلاً من تحريك أجسامهم وألسنتهم بما لا يعقلون ولا يستفيدون شيئاً جديداً منه، لكان كل واحد يختم القرءان

مرّة في الشهر هذا فقط كختمة تلاوة. هذا أحد وجوه كون الصلاة التقليدية عائقاً عن الصلاة القرآنية.

...

ما الفرق ما بين الصالح ومدّعي الصلاح؟

١-ليس الحكم على الآخرين. لأن كل إنسان بالضرورة يحكم على الآخرين، بمجرد وجود قيمة في العقل فإن الحكم يتبعها سواء نطقت به أم لم تنطق به، وكل إنسان سينطق ويفعل ما يناسب أحكامه الذهنية بالضرورة. فالعبرة ليست بالحكم على الآخرين، بل العبرة والفرق هو أن مدعي الصلاح لا يطبق على نفسه ولا يسعى للتطبيق على نفسه ما يحكم به على غيره. قال تعالى {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}.

٢-ليس المعيار المزدوج. بمعنى أن يكون لك معيار لنفسك ومعيار لغيرك، فهذا التطفيف ليس دائماً وحسب الصورة خاطئاً، لأن المعيار المزدوج قد يتبرر بسبب اختلاف الظروف والأشخاص. فإذا حكم على إنسان بأنه مفسد لبدنه بحجّة أنه يأكل السكّريات، ثم كنت أنا نفسي ممن يأكل السكريات، فهذا ليس معياراً مزدوجاً إن كان مثلاً ذلك الإنسان مصاب بالسمنة ولديه تاريخ عائلي من المصابين بداء السكّري وكان لا يمارس الرياضة ويأكل خمس وجبات في اليوم بينما أنا في المقابل نحيف وليس لديّ مثل ذلك التاريخ وأمارس الرياضة وآكل بالكاد وجبة إلى وجبتين في اليوم. هذا مثال بسيط ويمكن بسطه وتعقيده لكن الفكرة واحدة. {ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون}.

٣-ليس في أسلوب الكلام. بمعنى أن مدعي الصلاح عادةً ما يكون خشناً قاسياً في كلامه مع الآخرين، فيعتبرون ذلك منه دعوى صلاح، وليس كذلك لأن نفس هذا الإنسان قد يكون أخشن وأقسى مع نفسه ومن معه وحوله، كذلك قد يكون خشناً قاسياً ليس بسبب قسوة لقلب لكن بسبب حسن النية التي يعلمها من نفسه فيظن أن الآخرين يطلعون على نيته ولا يرون صورة عمله وسيحكمون على النية لا الصورة المجردة مع افتراضهم نية سيئة بحكم الصورة القاسية، وكذلك قد يكون مشغولاً ولديه هموم كثيرة فيريد الاستعجال في توصيل المعلومة والفكرة، وقد يكون حاول التذكير مراراً بطرق ألطف وأحسن فلما لم تنفع حاول طريقة أعنف وأخشن كحلّ أخير من باب الرحمة قبل الإعراض بالكلية عن مَن يذكّره. نعم هذه كلها قد لا تكون أعذاراً نافعة بالنسبة للكمال، لكن تقصير المتكلّم بالخشونة فيها لا يعني أنه مدعي صلاح وليس صالحاً ومصلحاً. {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك} فلو كان فظاً غليظ القلب فهذا لا يغيّر من حقيقة رسالته وصدق دعوته، لكن من باب حفظ نفوسهم ألانه لهم.

وقد يلين الإنسان ولا ينفع كلين موسى مع فرعون. التركيز على الأسلوب بدلاً من جوهر الكلام مثل التركيز على اللباس بدلاً من جوهر الأجسام، نعم له وجه وعبرة لكنه ليس كل شيء فإن أجمل جسم ولو لبس أقبح لباس يبقى أجمل جسم لو تعرّى ونظرته مجرّداً.

لابد أولاً من معرفة ما هو الصلاح. بالنسبة للمؤمنين بالقرءان، فإن الصلاح عندهم واضح وقد فرغوا من كلياته وكثير من جزئياته، لكن تبقى تفاصيل يمكن الاختلاف في ألوانها وتطبيقاتها. لكن بعد مرحلة معرفة الصلاح، تأتي الأحكام، وعلى الواحد أن يحكم على نفسه ولا يرى لنفسه حقاً بالحكم على غيره قبل أن يحكم على نفسه بذلك الحكم، قد ما تستطيع. مع التنبيه إلى أن الدال على الصلاح ينفع غيره وإن لم ينتفع به بنفسه، كالذي يدلك على عدم التدخين وهو يدخن فهذا لا يُنقص من قيمة عدم التدخين وإن كان صاحبها يصلح غيره ويفسد نفسه، فخذ ما ينفعك فليس ضرورياً أن تصير حماراً لأنك تركب حماراً ليوصلك إلى بيتك.

...

قال: لماذا تظهر في كتاباتك وكلامك غاضباً أحياناً؟

قلت: أهم سبب هو لأني في حياتي اليومية ومع الناس الأحياء حولي عادةً من أسكن وألطف ما يكون، إلا ما استُثني من حالات خاصة. فأستغل كتابتي وكلامي وأنا منفرد للتنفيس عن كل ما في نفسي أيا كان بلا قيود، حتى لا أجعل على من حولي عبء تحمّل ذلك منّي. ومن هنا تجد الذين لا يقومون بهذه الطريقة، كثيراً ما يكونون قمّة في اللين واللطيف في كتبهم وخطابهم لكنهم مع أهلهم ومن حولهم ويومياً وبسبب وبدون سبب ينفعلون ويضطربون. أنا أكتب تعبيراً وتنفيساً. هذا سبب.

السبب الآخر، الشفافية. فأنا أعلم نيتي وأراها في نطقي عادةً، ولا أصدر إلا عن نية حسنة وإرادة نفع، فأعتبر-ولعل هذا من ضعفي-أن الآخر يستطيع أن ينظر إلى نيتي كروح لصورة تعبيري وتصرفي.

السبب الثالث، الاشتغال. فلدي الكثير جداً مما أريد القيام به في يومي، واليوم قصير والعمل الحسن كثير وفضل الله عظيم، فمن باب السرعة-ولعل هذا أيضاً من ضعفي-أعبّر بطريقة مباشرة صريحة ليس فيها تزويق ولا تفكير في كيفية تلقّي الآخر لها من وجهة نظره ووضعه هو. فأنا أكتب لنفسي أولاً، ولا أبحث عن أجرة أو شهرة بسبب كتابتي، لذلك لا أبالي بكيفية التلقّي من الناحية العاطفية طالما سلمت لي قدرتي على التعبير عن فكرتي الجوهرية.

...

الجامع بين الأضداد هو الإنسان العارِف السليم.

ما بين الروح والجسد، ما بين العلم والمال، ما بين الفكرة والشهوة، ما بين الخلوة والاجتماع، ما بين كل الأضداد في كل أمر، حتى في الأخلاق تجمع ما بين الكرم والبخل من جهتين بحيث تكون كريماً في الكلام والمال وبخيلاً بغيظك، وهكذا في كل أمر كان ما كان. العارف لا يشذّ عن ذاته شيء.

...

اكتب تاريخك ويومياتك كمُذكِّر بكتابك الأبدي.

اجعل لنفسك عهداً أن تكتب كل شيء ظاهر وباطن تحدثه في كل يوم، واعتبر أن الناس سيقرأون كتابك هذا، الآن، اكتب كل شيء واعتبر هذا تذكيراً لك بكتاب حسابك الأبدي {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} فإن كل ما تكتبه أنت اليوم وما لم تكتبه ستجده صغيره وكبيره مكتوباً في كتابك الأبدي، لذلك تستطيع القيام بهذه النسخة المصغّرة كمذكّر ومنبّه لك على تلك النسخة الكبرى ذات العاقبة الأبدية.

...

القرءان جاء بضدّ أخلاق العرب وثقافتهم.

فالعربي المعتاد يتخذ اللغة للفخر والمبالغة واعتبارها بديلاً للفعل. فجاء القرءان باللغة الصادقة المعبّرة عن فقر الإنسان وضعفه وعجزه، وبالدقة المتناهية وذمّ الشعراء والحكم على القائل غير الفاعل بالمقت الإلهي.

العربي يعتبر الانتماء للقبيلة أو العائلة والحفاظ على هذا الانتماء والتناسق ونظرة المجتمع له هو أهمّ شيء حتى قالوا "النار ولا العار". بينما القرءان جاء بنسف ذلك كله، وجعل الإنسان فرداً في إنسانية شاملة، والانتماء للحق والعدل والعقل والله ورسوله أولى من الانتماء إلى المجتمع أيا كان، واعتبر حفظ الشريعة وأحكام الله أولى من حفظ التناسق الاجتماعي ومودة الدنيا بأي ثمن، ودل على أن الآخرة خير من الدنيا.

العربي ينظر إلى الكثرة، بينما جاء القرءان بالوحدة.

العربي ينظر إلى الطبيعة، بينما جاء القرءآن بالروح وبما فوق الطبيعة.

العربي يرى نفسه أقلّ من الجنّ، فجاء القرءان بجعل الإنسان قبلة الملائكة في السجود.

العربي عظّم الحجارة، فجاء القرءان بأن السموات والأرض ومن فيهن مُسخَّرة للإنسان.

العربي عظّم السيف والقتال، فجاء القرءان ولم يذكر السيف ولا مرة وقيّد القتال بقيود كثيرة من ما قبل القتال إلى نفس القتال وكيفيته ومقاصده إلى إنهائه والتقليل من سوء آثاره حتى جعل عدم القتال نعمة إلهية والسلام اسماً من أسماء الله.

العربي أمّي يكره القراءة والكتب، فجاء القرءان فافتتح أعمال الإنسان في الدنيا بالقراءة وافتتح عمله في الآخرة بالقراءة وجعل الكتابة فعلاً إلهياً واعتبر الكتب ليست من الدنيا بل من أمر الربوبية والسماء.

العربي يعتبر نظرة الناس له أهمّ من نظرته هو إلى نفسه وضميره، فجاء القرءان وعكس القضية فجعل نظرتك لنفسك وقلبك وضميرك أولى من نظرة الناس لك.

والقائمة تطول وهذه إشارات، وكلها تدل على أمرين: الأول خرافة مقولة "الدين من صنع الثقافة والمجتمع ومبرر لها"، والثاني خطورة مَن يعتمد على التراث والبيئة والنفسية العربية فإنها مضادة للنفسية والدعوة القرآنية.

...

السجود من القرءان:

١-كلمة "خرّ". قال في سليمان {ما دلهم على موته إلا دابّة الأرض تأكل منسأته فلمّا خرّ}، لكن في السجود قال {خرّوا سُجّداً}. ففرق إذن بين الخرّ والخر ساجداً. كذلك في السقف قال "خرّ عليهم السقف". فالخرّ مجرداً كما لو توكأ إنسان على عصا ثم سقط على الأرض فإن جسمه كله سيسوّى بالأرض وسيكون وجهه وكل بدنه وصدره على الأرض مستوياً معها، وكذلك الحال في السقف فإنه إذا خر تكون كل أجزائه متصلة بالأرض باستواء. وهذا خلاف {خروا سجداً} مما يدل على أن للسجود اتصال بالأرض من حيث كلمة {خروا} لكن ليس اتصال البدن كله بالأرض بنحو واحد مستوي مع الأرض.

٢-اعتبر الله الظلال تسجد. والظل على الأرض أيضاً على طريقة {خر}. لكن إذا استوى جسمك على الأرض كالظل فإن هذا سيؤدي إلى عدم التمييز بين الخر والخر ساجداً، وكذلك سيؤدي إلى نوع من العسر والألم بحكم تألم الصدر والوجه والرقبة والأعضاء التناسلية ونحو ذلك، والعسر منتف عن الشريعة "{ريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر}.

٣-{أن المساجد لله} المساجد كلمة من سبعة حروف. والسجود بهذا الاعتبار عمل الجسم المعبّر عن حال القلب.

٤-إذا بسطت ذراعيك في السجود كالكلب فإن هذه الهيئة غير مناسبة للإنسان من حيث أن الكلب مثل سيء {كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث}.

إذا جمعت كل ما مضى، بالإضافة إلى ٥-النقل المتواتر من عمل النبي عملياً لصورة السجود المشهورة في الأمّة على اختلاف فرقها وطوائفها.

ننتهي إلى نتيجة أن السجود على سبعة أعظم أي الرأس واليدين والركبتين والقدمين، يوافق الدلالات القرآنية ويقيمها وليس فيه ما يدلّ على مخالفتها. فمن سجد بهذه الصورة فقد أحسن.

تنبيه: في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم {إذا سجد العبد سجد معه سبعة أعظم}، لاحظ التعبير {إذا سجد العبد سجد معه} بالتالي أصل السجود ليس بالسبعة الأعظم، فهذا الحديث خبر وليس أمراً، لم يقل "اسجدوا على سبعة أعظم"، بل قال {إذا سجد العبد} هذا دليل على سجود القلب، {سجد معه} يعني سجد معه من جسمه {سبعة أعظم}. فالأصل سجود القلب، والسبعة أعظم تعبير جسماني عن ذلك الحال القلبي.

لماذا {سبعة}؟ لأن الله قال "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن". فسبع سموات كلها تسجد لله، وسبع أراضين تسجد لله. فقول النبي {إذا سجد العبد} يعني سجد بنفسه ذات السبع درجات، وقوله {سجد معه سبعة أعظم} يعني سجد ببدنه بسبعة أعظم لتوازي السبع السموات. فيسجد الإنسان بسماوات نفسه وأرض بدنه، سبعة مقابل سبعة، حتى يشير إلى سجود الكل لله تعالى. هذا سبب. سبب آخر، أن جهنّم {لها سبعة أبواب} وكما دخل إبليس جهنم بسبب ترك السجود، كذلك ينجو الناس بالسجود لله، جهنم عذاب للنفس والبدن، فيكون السجود بالنفس نجاة للنفس من أبواب جهنم النفسية، والسجود بالبدن نجاة للبدن من أبواب جهنم البدنية فكل عظم يعبّر عن باب من أبواب جهنّم ويغلقه برحمة الله تعالى الساجد له.

...

(تلخيص مجلس الفجر)

ثلاثة أصول قرآنية:

١-حق ورزق أولى القربى واليتامى والمساكين من تركات المسلمين مأكول ظلماً بسبب فقه المواريث الذي ما هو بفقه حقاً. لأنهم تركوا {وإذا حضر القسمة أولي القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه} وذلك باقي القسمة بعد الوصية والدين والتقسيم في آيات الميراث الثلاثة من سورة النساء. كل ذلك التعقيد الذي اخترعوه جاء بسبب تركهم حكم كتاب الله. فلابد من أن يبقى شيئاً من المال إذا قسّمته بحسب الأنصبة المفروضة في آية "للذكر مثل حظ الأنثيين" وما بعدها. هذا الباقي هو رزق {أولى القربى واليتامى والمساكين}. وترك {فارزقوهم}

غير مفصلة، لأن النسبة ستختلف بحسب حال الوصية والدين وأصناف الورثة من الأولاد والوالدين والزوج والأخوة. فلا يوجد غير هؤلاء الأربعة له نصيب مفروض في كتاب الله. قدّم الله ذكر الوصية على الدين لأن الأصل براءة الذمّة من الديون وكذلك للدلالة على أفضلية عدم المديونية. فبعد الدَّين إن وجد، والوصية إن وجدت، ما تبقّى يقسّم على الولد والوالد والزوج والأخ بحسب ما نصّ عليه الله فقط، وما تبقّى بعد هذه القسمة كله يذهب التساوي إلى {أولى القربى واليتامى والمساكين} الحاضرين القسمة والذي يجب حضورهم القسمة {إذا حضر} ذكر "إذا" مثل "إذا جاء نصر الله والفتح" للحتم والإيجاب، بل ذكر الله حق هؤلاء الثلاثة قبل حتى ذكر العائلة والوصية والدين، ثم بيّن الحكمة بعدها فقال {ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم} حتى ينبّه على أن إعطاء هؤلاء وكون هذا الإعطاء والرزق مستمر لهم في تركات المسلمين يضمن أيضاً لكل مسلم في ذريته عرفهم أم لم يعرفهم ممن يأتون بعده أو حتى من المسلمين عموماً والذين يهمه أمرهم بغض النظر عن الدين فإن الآية ليس فيها ذكر الدين، تضمن لهم رزقاً، ثم أنذر {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} كذلك الحال في أموال أولى القربى والمساكين فالمعنى واحد والكلام متصل وذكر اليتامى هنا بالاسم لأنهم الأوسط والأضعف عادةً من بين أولي القربى والمساكين الذين قد يكون الواحد فيهم على حاجته ليس يتيماً إما لكبره وإما لوجود كبير يدعمه ولو نفسياً بينما اليتيم هو الأضعف في القائمة فلمّا راعى اليتيم وأنذر من أكل حقه دل ذلك على ما فوقه مثل "لا تقل لهما أف" فدل على ما فوق الأفّ كذلك هنا بالكلام على اليتيم دل على ما هو أقل من اليتيم بالعكس فقد يشير بالأكبر إلى الأصغر أو بالأصغر على الأكبر لاتحاد المعنى الكلّي وهو هنا الحاجة المالية وكذلك نبّه على اليتيم لأنه أبرز مصادق الآية السابقة من ترك الذرية الضعاف الذين يخاف عليهم. حقّ هؤلاء الثلاثة مأكول في الأمّة منذ قرون بسبب مذاهب المواريث التي أدخلت مفاهيم العصبة ورد الباقي بعد القسمة إليهم. والحق أنه ليس أمام قارئ القرءان إلا أن يحكم أن الحق جل وعلا لا يعرف الحساب حيث وضع أنصبة مفروضة لابد أن يبقى بعدها شيء من المال وهذا كفر، وإما باعتقاد نقص القرءان وهذا كفر وهو الأمر الشائع في هذه الأمّة التاركة للقرءان إلا حين تشتهي ويوافق هواها ومذاهبها، وإما بأنه يجب أن يذهب هذا الباقي إلى فئة ما وهي الفئة التي بينها في الآيات السابقة وهم {أولي القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه} أي من المال الذي يُقسم، من مال التركة، فكم نرزقهم منه؟ الجواب: ما تبقى بعد الوصية والدين والأنصبة المفروضة. هذه القراءة المطهرة للقرءان والنظيفة والعادلة والتي لا هوى ولا شح فيها. وتستطيع تخيّل سبب إعراض وضعة المذاهب عن هذا الأمر القرآني، لأن فيه إعطاءً لمال وأحياناً مال كثير لهذه

الفئات الثلاثة. فمثلاً في حالة رجل توفي ولا وصية له ولا دين عليه وله بنت وأب وأم وزوجة وترك ١٠٠، فإن البنت ستأخذ النصف "وإن كانت واحدة فلها النص" أي ٥٠، والأم والأب لكل واحد منهما السدس أي ١٦.٦ لكل واحد، والزوجة لها الثمن لأن له ولد "فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم" أي ١٢.٥، فيبقى ٤.٣، يعني ٤.٣٪ من تركته سيذهب إلى {أولي القربى واليتامى والمساكين} بالتساوي بين مَن حضر منهم لأن الله لم يضع لبعضهم نصيباً خاصاً. وتستطيع تصوّر المبالغ الطائلة التي ستذهب إلى هؤلاء لو قُسّم كل تركات المسلمين بهذا الشكل القرآني. قسمة سهلة ونظيفة وميسرة ومحسنة. وسيكون حال هؤلاء الضعاف أحسن حال في الأمّة فقط لو قُسّمت التركة بالقسمة القرآنية الخالصة.

فهذا أصل قرءاني، وهو خذ ما في الكتاب وحده وردّ إليه كل ما سواه. وإن خرجت عن القرءان فلابد من ظلم وظلام.

٢-الطريق المضمون للخروج من الغفلة هو القرءان. {نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنت من قبله لمن الغافلين} ، {ص والقرءان ذي الذكر}. فاجعل أصل ذكرك ووردك القرءان. وأي ذكر وورد لا أصل له في القرءان ولا يندرج تحت أصوله فأعرض عنه.

٣-في آل عمران ١٨٣-١٨٤ ذكر الذين وضعوا شرطاً من عندهم للرسل وهو أن يأتيهم بقربان تأكله النار. فرد عليهم {جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم}. ثم بيّن بما يجئ به الرسل فذكر ثلاثة أمور هي البينات والزبر والكتاب المنير. كلها عن التفكير الصحيح والتعبير الصريح. كلها أمور عقلية كلامية. لكن من شأن الكفرة أن يخترعوا صفات غير عقلية وكلامية للرسل، فيكونوا حتى إن جاءهم ما يزعمون من قتلة الرسل. الحق أن كل مَن يأتي بالبينات والزبر والكتاب المنير فهو رسول من هذا الوجه، فكن له قابل لا تكن له قاتل.

...

اعتماد التصوف عند فقهاء أهل السنّة اعتماداً رسمياً، بل وجعله بعد ذلك طرقاً مؤسسية منظمة، بدءاً من الغزالي فمن بعده، كان بسبب حربهم ضدّ الشيعة الاسماعيلية الباطنية التي قالت بالباطن والتعليم الخاص للإمام والتنظيم المؤسسي للدعوة. فاستخدم الغزالي ومن ورائه السلاجقة أعداء الدعوة الفاطمية التصوف كوسيلة لذلك. وإلا فالصوفية كانوا قبل ذلك ليسوا من الدولة السنّية ودوائرها وليسوا منهم. التصوف السنّي المؤسسي تحريف للتصوف الحقيقي، وأداة استعملوها لأغراضهم، لذلك كانوا ولا زالوا يستعملون التصوف لخدمة الدولة

التي يتبعها مشايخ الطرق، وروّضوا التصوف وجموحه الروحي حتى يتناسب مع أغراضهم وأغراضهم السياسية فقط.

...

سألتني ما حاصله كيف تنتفع من دراسة الطب والقرءآن معاً،

فقلت: الطب يعطيكي أمثال خذي المثل من الطب، واسألي عن تأويله الباطني بحسب طريقة القرءان في التأويل والتفسير.

...

كما أن الجسم مجذوب بطبعه لجهة التحلل والألم والموت فلو لم تفعل شيئاً كالأكل والحركة وبقية الأسباب الصالحة فنهايتك الطبيعية هي تحلل الأعضاء وألم الجوع والعطش ثم الموت، كذلك النفس مجذوبة بطبعها لجهة النار في عالَمها الخاص بها. ومن هنا كل نفس محكوم عليها بالنار بطبعها، لذلك يقول القرءان "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم".

فكما أن كل جسم مُستَعبَد للطبيعة، كذلك كل نفس مُستعبَدة للنار. فهذا هو الأصل. ثم يأتي الاستثناء وهو طريق العتق والتحرر وفك رقبتك من النار. وهذا هو طريق الإسلام.

من هنا قال الله (فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة.)

إذن يوجد أمران:

(فك رقبة) هذا للخروج من حكم النار إلى الأعراف. الأعراف وسط ما بين النار والجنة.

(إطعام) هذا للخروج من الأعراف إلى الجنة. لذلك قال (يتيماً) أو (مسكيناً). لأن رجال الأعراف ينظرون إلى أصحاب الجنة وأصحاب النار، فلهم طمع في الجنة وخوف من النار. فمَن أطعم اليتيم صار له سبب يصله بأصحاب الجنة، ومن أطعم المسكين وضع حجاباً بينه وبين النار.

ولا يوجد شيء بعد ذلك إلى الجنة.

ففك الرقبة أو تحرير وقبة هو طريق النجاة من استعباد النار لنفسك. فمَن حرر غيره حرر نفسه. ومن هنا شدة اهتمام النبي والمسلمين الصادقين بتحرير المستعبدين المملوكين. في زمننا هذا، كيف يمكننا أن نفك ونحرر أيضاً؟ طرق:

الأول، لا يزال يوجد العديد من المستعبدين حرفياً وهذا عمل على مستوى الدول. ويمكن أن تتبرع لبعض الجمعيات الخيرية المساهمة في هذا العمل.

الثاني، لا يزال الكثير جداً من الناس يعيشون تحت حكم جبري قهري وهذا استعباد أيضاً. فساهم في تغيير ذلك بالدعاء وبالقول وبالفعل، حسب ما تستطيع.
الثالث، رويت أذكار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثوابها كعتق رقبة مثل قول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وذلك لأن في هذه الأذكار تحرير عقلك من الظلم والظلمات، وفك رقبتك من أسر الخلق والمخلوقات. ومن هنا تجد في كتب الصوفية باباً عن الحرية، الحرية من الخلق بالوصول للحق تعالى. فاعتق رقبتك ومن حولك من النار بالأذكار ومعرفة الأسرار.

رأيت اليوم في المنام طريقاً بجانب جبل، يُدخِل إلى نفق مظلم، وهذا الطريق متحرّك فكل مَن يقف عليه يسحبه إلى النفق، إلا مَن نجا بسبب خارجي.
فالجبل الأعراف، والطريق الدنيا، وسحبه جذبه النفس، والنفق النار. واستيقظت وآيات (فك رقبة) ومعناها الذي ذكرته قبل قليل في قلبي. نسأل الله أن يفك رقابنا بفضله ويُطعمنا الفردوس برحمته فهو حسبنا ونعم الوكيل وبالإجابة جدير. والحمد لله رب العالمين.
...
(أسئلة عن كتابي "الصلاة من كتاب الله" وردتني من مؤمن ومؤمنة)

س ١: في الجمع بين ما ذكرت في أحد منشوراتك عن حركات الصلاة في خطاب بين نفسك و روحك الشاهد منها أن الحكمة هي كونها كذلك ولا حَظ للنفس في ذلكم الطريقة، وبين ما ذكرت في كتابك هذا من أن الحركات تدعو لانعدام التعقل بالكتاب، فكيف تقول؟

الجواب: لا تعارض بين القولين. كون الصلاة التقليدية "لا حظّ فيها للنفس"، وبين كونها تدعو "لانعدام التعقل بالكتاب"، لا يوجد تعارض. فالنفس حظّها هو التعقّل، واللطيف أنه توجد رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول "ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها"، فالصلاة قيمتها بالنسبة لك بحسب "ما عقلت منها" بالتالي إذا لم تعقل منها شيئاً فلا حظّ لك من صلاتك. مع ملاحظة أن الرواية تقول "ليس لك" فهي تشير إلى ما للمصلّي، ومع ملاحظة أيضاً أن هذه الرواية تنطبق أكثر على الصلاة القرآنية التي التعقّل فيها مقصد جوهري خلافاً للصلاة الحركية اللفظية التي يكفي منها شكل الصلاة لكي تُجزئ ويسقط التكليف عن المصلّي شرعاً. ثم إن الله تعالى قال "من جاهد فإنما يجاهد لنفسه"، فأعمال الدين هي للنفس، والنفس ترتفع بالإيمان والعلم أي بالتعقّل عموماً "لعلكم تعقلون"، بالتالي العبادة التي

لا حظ فيها للنفس مطلقاً ليست عبادة قرآنية ربانية. وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال "لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر" وقال "لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر"، وروي عن النبي أيضاً أنه قال "لا خير في دين لا ركوع فيه" وقالوا بأنه أراد بذلك الصلاة،، فإذا جمعنا الكلام المروي عن النبي وعلي كانت النتيجة: لا خير في دين لا صلاة فيه ولا خير في صلاة لا تفكر وتدبر فيها. وهذا بالضبط ما نحن فيه. فإن انعدام حظ النفس لا يعني أنه أمر صالح وجيد.

إلا أني حين قلت بأن هذه الصلاة التقليدية لا حظ للنفس فيها، فهذا له وجه من الخيرية باعتبار تعويد الإنسان الممتلئ بنفسه والاهتمام بما يلذ ويطيب له بالمعنى السفلي الفوري المادي، وهو شأن الناس عادةً في بدء أمرهم ودخولهم في الدين، فإن الواحد فيهم يهتمّ دائماً بما يرى فيه نفعاً فورياً له، بينما الدين مبني على أمر الله والروح والآخرة فيقتضي صبراً والصبر رأس الأمر كله حتى سمّى الله الإيمان كله صبراً في آية "الذين صبروا وعملوا" كما قال "الذين ءامنوا وعملوا". فقد يكون من باب تسليك الناس في الدين أن وضعت لهم هذه الصلاة الحركية اللفظية حتى تأخذهم عن نفوسهم المعتادة المظلمة، حتى ينفتحوا على أفق أعلى الذي هو الصلاة القرآنية العقلية.

إذن، الحركات والتكرار يدعو إلى توقف العقل، فمن اقتصر على هذا الحد ولم ينفتح على أي أفق أعلى ويترقب كشف أسنى ولا قراءة ولا تعلّم بقي في الفرا غ. وعدم التعقل يعدم حظ النفس ونموها وتنويرها.

س ٢: - ايضاً في ذات النقطة؛ رداً عن كون الحركة الجسمانية قد تعيق التعقل؛ من تجربة عملية شخصية أغلب الأمور فتحت لي وعقلتها كانت مع حركة جسمانية وعمل عقلي وتسبيح تسبقها أو تليها او معها. فهل نقول ان في هذا تصديق لقولهم فالرواية الموروثه: إن صحت « ..حتى تطمئن.. » فتلازم حركة الداخل حركة الظاهر.

الجواب: حتى في قراءة القرءان توجد "حركة جسمانية"، لكنها ليست مقصودة لنفسها. الذي يعيق عن التعقل هو كون الحركة مقصودة لنفسها، مع وجود كمّية يجب حفظها وألفاظ يجب تكرارها، هذا المجموع يؤدي إلى إعاقة التعقل عادةً. لكن في قراءة القرءان في الأوقات المعلومة، فإن المصلّي أيضاً لابد أن يكون لجسمه حركة أو وضع ما بالضرورة فهو لن ينخلع عن جسمه، سواء كان يصلي قائماً أو قاعداً أو على جنبه أو ماشياً على رجله أو راكباً، لكن

هذه الوضعيات ليست مقصودة لنفسها بل هي وضعيات اطمئنان أو ما يشبه الاطمئنان بأكبر قدر ممكن في حال الضرورة المانعة من الاطمئنان عادةً. وكذلك حركة اللسان أو ذبذبة الأصوات داخل الدماغ حين القراءة أيضاً هي نوع من "الحركة الجسمانية"، لكنها كما ترين فرعية وليست أصلية، عَرَض وليست جوهر.

ونعم، عند مَن يطمئن في حركاته ويتدبّر في تلاوته وأذكاره، سيكون مثله مثل المصلّي بالصلاة القرآنية من وجهة القراءة والتعقل، لكن العادة والنمط الفقهي للصلاة التقليدية لا يساعد على هذا كما نراه في عموم الأمّة، خلافاً لمن يقيم الصلاة القرآنية البحتة فإننا نرى أثرها فيه عموماً بإذن الله. فالصلاة القرآنية لا تحتاج إلى تجاوز الجسم وأوضاعه وصعوبة التكرار ومشقاته حتى تؤدي إلى النور، بينما الصلاة التقليدية لابد معها من هذه العوائق ولو كانت عوائق قابلة للتجاوز بالنسبة لقليل من الناس. يمكن تشبيه ذلك بالصورة التالية: نحن على الساحل وأمامنا بحر وفي الطرف المقابل توجد جزيرة مليئة بأنواع الأشجار الطيبة والأزهار العطرة والأنهار العذبة، كيف نصل إليها؟ البعض مشى فقطع جسراً أو جلس وركب قارباً، لكن البعض الآخر قرر السباحة وتحمّل مخاطر الحيتان وحرارة الشمس ولا لياقة عند أكثر السابحين حتى تبقى له طاقة أصلاً ليصل إلى الجزيرة وإن وصل فإنه من شدّة تعبه لعله ينام على شاطئ الجزيرة فور الوصول ولا يستطيع الدخول والأكل. الراكب هو المصلي بالصلاة القرآنية البحتة، السابح هو المصلّي بالصلاة التقليدية فقط، والماشي هو الذي يحاول الجمع بين الصلاة التقليدية والقرآنية فيجمع بين اعتبار الجسم كأصل واعتباره كوسيلة.

وأنا كذلك فتح الله لي ولا يزال بفضله الكثير من الخير وأنا في الصلاة التقليدية. فأنا لا أنكر هذا ولا أستطيع أن أنكره أصلاً. لكن كما قلت، هذا بحسب ما أراه استثناء وليس القاعدة. وكذلك لأني لا أعتبر صلتي بالله مقتصرة على الصلاة التقليدية، بل أصلّي الصلاة القرآنية وبقية أوامر القرءان من أذكار وأوراد وأدعية وغير ذلك خلال اليوم والله فضله عظيم وهو تعالى نفسه الذي دلّنا على العلاقة ما بين أعمالنا وتنويره حين قال "يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلاً. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً". إلا أنه بحسب ما نراه من حال أكثر الناس، فإنهم بالكاد أصلاً يصلّون الصلاة التقليدية، وأكثر من يصلّيها يتخذها كعمل جوارح وجسم فقط لأنها مصممة بهذه الطريقة حسب ما علموهم وجعلوا المقصد منها هو إقامة الحركات والألفاظ، ولا يوجد فيها تعاطي مباشر متعقل مع القرءان وإنما القرءان جزء من أجزائها ولا يمكن الوقوف للتأمل فيه فيها. نعم، قال بعض العارفين أن الفتح في القرءان حقاً هو الفتح الذي يأتي مع القراءة مباشرةً بدون وقفة تأمل وتفكّر بحيث تكون لحظة التلاوة هي لحظة الفتح

وحصول المعنى والكشف في القلب، هذا أيضاً مفهوم لكنه خلاف العادة بل هو من خوارق العادة خرقاً بيّناً، فإن الصحابة أنفسهم كما روي كانوا يقرأون القرءان خمسة خمسة أو عشرة عشرة آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل كما روى بعضهم، وهذا مشهود له بالتجربة من حاجة النفس إلى فترة للهضم والتأمل والسكون فإن أكل النفس للكلام مثل أكل الجسم للطعام فلابد لها من نوع راحة وفترة معالجة وهضم وإخراج.

في القرءان أيضاً ذكر لبعض الحركات الجسمانية كما بيّنا، "يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم" "دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً". فالذكر والدعاء وهما خلاصة ولباب القرءان، قد ذكرهما الله في معرض ذكر حالة الجسم حسب الظاهر، لذلك بالمناسبة الفاتحة هي سورة الصلاة لأن الفاتحة نصفها ذكر ونصفها دعاء. ويصدّق هذا ما روي عن النبي من أن رجلاً قال له بأنه عاجز عن تعلّم القرءان فسأله شيئاً يعوضه عن ذلك فدلّه على أذكار وأدعية فالأذكار لله والأدعية للعبد وانتهى الأمر. ثم بيّن القرءان تفصيلاً كما في صلاة الخوف كيفية الصلاة إن كان المؤمن في حضرة العدو فقال "فرجالاً أو ركباناً". فالقول بأن القرءان لم يبيّن كيفيات جسمانية هو قول خاطئ. وأما إن كان الإنسان يضع حركات معينة في ذهنه مسبقاً، وحين لا يجدها في القرءان فبدلاً من تغيير ما في ذهنه يطعن في القرءان، فهذا ما يقوم به أكثر من اتخذ الروايات أساساً لدينه بدلاً من الآيات وهو من قبيل القول بالهوى والتشهي وتقديم شيء على كلام الله.

التجرّد من الجسم كان ولا يزال هو أهمّ ما يسعى إليه أهل الروح والعقل حتى يخلص لهم الشهود والنظر والفكرة. ومن هذا الباب جاء الصيام وغير ذلك من رياضات الجسم الروحية. يكفي أن الوحي يأتي للأنبياء في المنام، ومعلوم أنه في النوم لا عبرة بالجسم.

ثم حتى في الصلاة التقليدية، ليست حركات الجسم شرطاً جوهرياً فيها، كما أن الذهاب إلى الكعبة في مكة الجغرافية في الجزيرة العربية شرط في الحج التقليدي ويسقط الحج عن مَن لا يستطيع الوصول إلى الكعبة بسبب ما. والدليل أن الصلاة التقليدية لا تسقط عن المكلّف حتى إن كان عاجزاً عن إقامة حركاتها، بل ولو كان لا يعرف الكثير من ألفاظها كأن يكون صاحب لغة غير عربية. فلو كانت حركات الجسم شرطاً جوهرياً ومن جوهر الصلاة التقليدية لوجب أن تسقط بالعجز عن إقامة تلك الحركات، كما تسقط الزكاة عن مَن لا يملك النصاب، ويسقط الصيام عن المريض والمسافر، ويسقط الحج عن العاجز عن الوصول إلى الكعبة ولا يستطيع أن يضع أي مكعباً أسوداً ويطوف حوله وهو في العراق مثلاً كبديل للكعبة. فهذا دليل من ذات الفقه أن جوهر الصلاة هو الصلاة القرآنية، فإنه في الرواية عن النبي أن مَن لم يقرأ بأم القرءان فصلاته خداج يعني ناقصة غير تامة، ولم يقل مثل ذلك في العاجز عن القيام أو

الركوع أو السجود أو الجلوس بالأشكال المعروفة. فحتى في الصلاة التقليدية، الحركات الجسمانية ليست شرطاً جوهرياً، بهذا الاعتبار. وهذا يعزز ما ذكرناه من أنه إذا صحّت النسبة إلى النبي، فهي صورة نبوية للحقيقة القرآنية وليست نفس الحقيقة القرآنية أو الصورة الوحيدة المحتملة لها.

س ٣ : في سياق أمر القراءة {اقرأ باسم ربك} فالضمير ك العائد للنبي الأمي صلاة الله وسلامه عليه تشير إلى أن الصلاة عليه من اشتراطات القراءة التامة وبالتالي إقامة الصلاة. ارني ماذا ترى؟

الجواب: قد يُستفاد من باب الإشارة هنا أن الصلاة على النبي تفتح باب القراءة الصحيحة النافعة بإذن الله، وسبحان الله أنا قبل أن أقرأ أصلّي على النبي وآله، والآن بنعمة الله ونعمتك عليّ عرفت آية ذلك، فأشكرك وزادك الله خيراً.

إلا أنه يمكن استفادة أمر آخر، وهو أن القارئ على الحقيقة هو النبي، يعني النبي الذي في نفوسنا هو الذي يقرأ، "وفيكم رسوله". ذاتنا مكونة من أربع عوالم، الجسم والنفس والروح والنور النبوي الذي هو مقام العزة "سبحان ربك رب العزة" لاحظي الكاف "ربك". فالقراءة العليا هي القراءة النبوية، هي العقل الأعلى، العقل الأول، القلم الذي قيل له "اكتب" الذي هو أول مخلوق.

كل مَن يتبع الذكر ويخشى الرحمن بالغيب، فإن فيه نور من نور النبي، وبهذا النور يقبل القرءان ودعوته إلى القراءة، فيكون من هذا الوجه مخاطَباً أيضاً بخطاب {اقرأ باسم ربك}. ويشهد لهذا المعنى مثلاً، قوله تعالى "ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" فهذا خطاب للنبي "ربك"، لكن لاحظي في سورة المزمّل التي تبيّن تفاصيل التهجّد "وطائفة من الذين معك"، فتوجد طائفة من المؤمنين هم مع النبي، مع الكاف " معك" هذه الكاف المُكرّمة التي خاطبها الله "يبعثك ربك"، فهؤلاء لأنهم اتبعوا النبي في أمرهم صاروا معه كما قال إبراهيم "من تبعني فإنه منّي". ومن هذا الوجه يكونون كأنهم النبي ومرآة للنبي.

س ٤ : في أصل المسألة؛ سؤال استفهامي إن كانت كذلك فلِمَ لم يرد في الموروثات بشكل جلي وواضح للقوي والضعيف عن النبي بهذا الأمر كما ورد عن ما دونه في تفصيل الصلاة التقليدية بشكل دقيق جداً، وهو أشد حرصاً وسلامةً لنا.

الجواب من ثلاثة زوايا:

الزاوية الأولى، وروده في كتاب الله يغنينا عن التكهن عن لماذا ورد أو لم يرد أمر ما في الروايات. ثم حتى الروايات فيها أمر بالتمسك بكتاب الله والاهتداء بهديه والتحاكم إليه. فهذا يكفي.

الزاوية الثانية، الصلاة القرآنية هي القراءة والوقت، وكلاهما مذكور في الآيات وحتى في الروايات. وعدد الروايات التي تدلّ على قراءة القرءان وفضل القراء ومقاصد القراءة وثوابها كثيرة جداً بيّنا بعضها في كتابنا "تاج القراء" وما لم نبيّنه أكثر بكثير عند السنة والشيعة والإباضية.

الزاوية الثالثة، الروايات تأثّرت كما هو معلوم بكثير من العوامل الخاصة، وكيفية نقلها وحفظها ونوعية الحكم عليها وعلى رجال النقل دخلها الكثير من الأمور التي نقلت الدين من مركزية القرءان وأحكامه ومقاصده ورؤيته إلى مركزية أخرى. فليس غريباً بعد ذلك إن وجدنا ما في القرءآن يناقض ما في الروايات أو ما تأسس على هذه الروايات من مفاهيم. لكن حسب اطلاعي وما كتبته في هذا الشأن في مواضع متفرقة، فإن في الروايات ما يصدّق ما ورد في القرءان، لكن تفصيل ذلك بنحو منهجي يحتاج إلى استقصاء في نيّتي القيام به لاحقاً إن شاء الله لكن القدر الذي يكفينا الآن هو ما ذكرناه، فحتى لو افترضنا أنه لم تأتي ولا رواية، فكتاب ربّ العزّة لا يفتقر إلى كيس أبي هريرة.

إضافة رابعة، قال الله موضحاً قاعدة "لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"، والآن تعالي ننظر في الروايات والمذاهب الفقهية عن مسائل الصلاة التقليدية، وسنجد اختلافاً كثيراً كثرة متكاثرة، وهذا يدلّ إما على خلل في الروايات وإما على أن المسألة برمّتها ليست من عند الله، وعلى الوجهين يسقط الاحتجاج بالروايات على الآيات.

قرأت اليوم رواية مشهورة عن كون جبريل عرض القرءان على النبي مرّتين في العام الذي توفي فيه لكنه كان يعرضه عليه مرّة واحدة قبلها. وتذكّرت كذلك كون النبي كان له كتّاب وحي كما هو معروف وكان كتّابه يؤلفون القرءان ويرتّبوه بإشراف النبي نفسه. طيب. لو كان أمر المرويات ضرورياً وجوهرياً للدين، بالإضافة إلى القرءان، لماذا لم يوظّف النبي أناساً يكتبون سنّته بانتظام ويكتبون كل شاردة وواردة ويتناقلها الصحابة بعضهم إلى من بعضهم أيضاً،

ولماذا لم يراجع النبي ما كتبوه عنه ولماذا لم يعرض جبريل السنّة على النبي أيضاً كما عرض عليه القرءان. فكّري فيها.

ثم إذا نظرنا، سنجد أن القرءان قرأه ونقلته الأمّة، وهو ليس مثل رواية أو بضعة روايات عن واحد أو أكثر، بل هو كتاب يُقرأ ليل نهار ويعرفه الرجال والنساء والصبيان والعبيد أيضاً بدرجات مختلفة طبعاً، وعلاقة الأمّة والنبي بالقرءان مشهورة من أول يوم. فكتاب هذا قيمته ونقله وأهمّيته ومركزيته، لا يمكن معارضته برواية أو روايات مهما كانت. مع العلم أن أفضل حديث موجود بأيدينا من حيث السند والمتن هو حديث "مَن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" ! يعني أعلى حديث موجود هو حديث يحذّر من الكذب على النبي، يعني يحذّر من صناعة الروايات. مع التنبه إلى أن بعض الصحابة قال بأن النبي لم يقل كلمة "متعمداً" بل قال "من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار" مما يعني أن مَن نسب إلى النبي كلمة لم يقلها في الواقع ولو كان يحسب هو أن النبي قالها فليتبوأ مقعده من النار، وهذا أخطر ومعيار أصعب وأشقّ. لكن حتى مع هذا التحذير، كثر الوضع والكذب في الحديث باعتراف المحدّثين، وكثير من الأحاديث "الصحيحة" هي صحيحة باعتبار أن رجال السند كانوا عند فرقة ما وبحسب اختيارهم ثقات أو مقبولين للرواية لكن نفس الشخص قد يكون غير مقبول عند آخر، فهو معيار شخصي، ولو كان النبي يريد هذا العلم لأن يكون مستقلاً فضلاً عن أن يكون حاكماً على القرءآن لوجب أن نرى في القرءآن أو حتى في الروايات المتواترة تعليماً للنبي في كيفية قبول الرواية وتأسيس علم السند ونقد الأحاديث، فالنبي الذي يعلّمنا ١٥ أدباً في كيفية دخول الخلاء كما في الروايات لا يُستبعَد افتراض أنه إن أراد علم الروايات ليكون علماً دينياً بهذه الصورة والأهمّية والمركزية لوجب عليه أن يكون هو أول واضع لعلوم حديثه.

مثال ذلك قرأت اليوم حديثاً فيه سنده رجل اسمه حسين بن زيد بن حسين بن علي بن أبي طالب وروى حديث أن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وهذا الحديث مما اتخذه الشيعة سلاحاً ضد فرقة أبي بكر لأن فاطمة غضبت على أبي بكر وماتت وهي غاضبة عليه فبنوا على ذلك أن الله غاضب على أبي بكر، الآن، الذهبي صاحب سير أعلام النبلاء وهو من دائرة ابن تيمية والفكر الذي فيه ما فيه من شوائب التمسلف والنصب وعداء الشيعة، حكم على هذا الحديث بعدم الصحة خلافاً للحاكم النيسابوري الذي خرّجه في مستدركه على الصحيحين وحكم بصحة إسناده فاعتبر حسين بن زيد إذن مقبول الرواية لكن الذهبي قال " حسين بن زيد منكر الحديث لا يحل أن يحتج به"، فلما بحثت وجدت حسين بن زيد هذا هو ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان من أهل العلم والزهد والورع والتعبّد ومن كبار الهاشميين العلويين وتربّى عند جعفر الصادق وأخذ عنه العلم وله مقامات كثيرة

حسنة، وقال فيه بعض علماء الجرح والتعديل السنّة ما يلي: الجرجاني {أرجو أنه لا بأس به إلا أني وجدت في حديثه بعض النكرة}، أبو حاتم الرازي {يعرف وينكر}، ابن حجر العسقلاني {صدوق ربما أخطأ}، الدارقطني وهو من شهير وكبير في علم الحديث انتقد حتى البخاري اعتبره ثقة، علي بن المديني قال {كان فيه ضعف ويُكتَب حديثه}، يحيى بن معين قال {ليس بشيء}. أقول: لاحظي أنه يوجد مَن وثّقه، وأكثرهم اعتبروه مقبولاً يُكتَب حديثه ووسطاً، وواحد قال {ليس بشيء}، كيف يكون هذا في رجل واحد؟ الجواب ببساطة: لأن معاييرهم غير موضوعية، بل قد تكون مذهبية متعصبة لأن حسين بن زيد كان من أصحاب جعفر الصادق وموسى الكاظم وهما أئمة الشيعة وأهل البيت في زمنهما، وتربى في بيت جعفر وتلقى عنه العلوم والمعارف، بالتالي لابد أن يحكم عليه أصحاب الفرقة الأخرى بنوع من الضعف ونحوه. لكن الذهبي لأنه يعرف أن حديث رضا الله لرضا فاطمة وغضبه لغضبها، قال عبارة فيها قسوة بالغة وهو أن حسين بن زيد {منكر الحديث لا يحل أن يحتج به} وكأنه منافق أو كاذب مشهور بالكذب.

على هذا النمط، يمكن النظر إلى علم الروايات بأنه تأثر بعوامل كثيرة، وكان القرءان بعيداً عن اهتمامات الكثير منهم. بل يروى أن بعض وضّا ع الحديث أي الذين يخترعون الأحاديث وينسبونها إلى النبي، اخترع أحاديثاً كثيرة في فضائل القرءان، فلما سألوه قال ما معناه بأنه رأى اشتغال الناس بغير القرءان فأراد إرجاعهم إليه. فهذا ومثله من الكذابين " الصالحين" وهي ظاهرة مشتهرة تحدّث عنها مسلم في مقدمة صحيحه، كانوا يرون أنهم لا يكذبون "على" النبي حسب حديث "من كذب عَليّ متعمداً"، بل يرون أنهم يكذبون "لـ" النبي، يعني لصالح النبي، لصالح ما جاء به، فهم خارج الحديث. ومن هذا وغيره صارت الروايات أحوج إلى القرءآن من أي وقت مضى. فبدلاً من الاحتجاج على القرءآن بالروايات وما فيها وليس فيها، يجب أن يزداد حرص الناس بل وأهل الروايات على تنقيحها في ضوء القرءان وتعاليمه وتفاصيله.

مما جاء في الروايات، عن علي عن النبي أنه قال {أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم} فسألوه {ما المخرج منها يا رسول الله} فقال {كتاب الله}، ثم فصّل أهمّية الكتاب وأبعاده، وكل فقرة من فقرات هذا الحديث تحتاج إلى دراسة وتأمل، لأن هذه الأمّة وقعت ولا زالت تقع في فتن بسبب إعراضها عن كتاب الله. فدلّهم على كتاب الله، ولم يدلّهم على كتاب روايات، وقد كان يتحدث عن الناس من بعده. وهذا مفهوم لأن هذه الأمّة افتتنت بدين الروايات والتاريخ وصيّرته مركزاً وأساساً، وأعرضت بالكلية أو أعرضت جوهرياً عن كتاب الله.

كذلك في رواية أخرى عن ابن مسعود أن النبي وصف القرءان بأنه {نجاة لمن اتبعه}. لم يقل اتبعه واتبع غيره، بل قال {اتبعه}. وأصل هذا في القرءآن "اتبعوا النور الذي أنزل معه".

في رواية ثالثة أن النبي سيقول عن بعض أفراد قبيلته يوم القيامة حين يتوسّلون به {أما النَّسَب فأعرِف، وأما العمل فلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعوا فلا قرابة بيني وبينكم}، لاحظي أن نبذهم الكتاب كان معيار تبرؤ النبي منهم حتى وهم قرابته.

فهذا وغيره مما يوجد في الروايات ويؤكد ما ورد في الآيات. فهو حجّة كافية من داخل منظومة الروايات على الرجوع إلى نظام الآيات.

الخلاصة: لا نحتاج إلى التكهن لماذا يوجد أو لا يوجد شيء في الروايات، بعد أن نجد ما يكفي في الآيات بل وفي الروايات المصدقة المتبعة للآيات ما هو عصمة لمن تمسّك به وعروة وثقى لا انفصام الله والله سميع عليم.

س ٥ : قولي في الجمع بين الأمرين أقصد الصلاتين أو ظاهر الأمر وباطنه؛ فهذا يجلّي هذا فكما أن القرآن موجود ظاهراً بلسان عربي وباطنا كروح فلا هذا ينافي هذا كما أن ليس كل من يقرأه يعقله و يمسه فالصلاة القرآنية هي الروح والتقليدية هي ظاهره وقوله فالآية {يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} فالذم كان فالغفلة عن الباطن لا في ذم علمهم الظاهري. هكذا تبيّن.

تعليقي: نعم، القرءان أيضاً له ظاهر وباطن، ظاهره لسانه وباطنه حقيقته. بالتالي، لا يقال بأن أصحاب الصلاة القرآنية هم قوم يريدون الباطن بدون الظاهر، فهذا أمر.

أمر آخر، وهو الذي ركزت عليه مراراً، المشكلة في الصلاة التقليدية، إضافة إلى أنها غير منصوص عليها في القرءان وتؤدي إلى اختلافاً كثيراً وافتراقاً واحتراباً في الأمّة بغير مخرج إلى يوم الدين حتى صارت الأمّة مصداقاً قوله تعالى "أغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة" لأنهم لا يرجعون إلى كتاب الله بسبب رجوعهم إلى الروايات والمذاهب غير المبنية على الكتاب حصراً، فنفس صورة الصلاة التقليدية يجعلها للأعمّ الأغلب ذات ظاهر بدون باطن، وجسد بلا روح، وشكلية بلا حقيقة. ففرق بين شيء قابل للغفلة والذكر على الحياد فتكون المسؤولية في الذكر على عاتق الآخذ به، وبين شيء هو نفسه يميل بالآخذ به جهة الغفلة بسبب تركيبه وشؤونه.

لكن نعم إن افترضنا إنساناً يكون حاضراً في القراءة والأذكار ويتكلّم بلسان جسمه بالحركات والوضعات كما يتكلّم بلسان فمه بالكلمات، فهذا لا فرق بين الصلاة القرآنية والصلاة التقليدية عنده بل هما شيئاً واحداً من هذا الوجه.

إلا أن من أهمّ ما يشغلني هو حين يأتيني إنسان ويقول لي "تركت الصلاة (يقصد التقليدية) لأني كذا وكذا (ويبدأ يسرد لي العيوب التي ذكرناها بعضها أو كثير منها)" ثم يقول لي "كيف أصلّي صلاة لله ذات روح وحقيقة" أو "أين هذه الصلاة في كتاب الله". فلا أستطيع أن أجيبه بقلب مطمئن إلا ببيان الصلاة القرآنية، وأقول لعله إن استقام عليها ووجد حقيقتها يميل إلى رؤية حقيقة ومنفعة الصلاة التقليدية بحسب أصلها النبوي الأولي الطاهر ثم يقوم بها من عند نفسه أو لعل الله يبعث قلبه بفهم شيء من القرءان يدله عليها. لكن ماذا سأقول لله يوم القيامة إن قال لي "أمرتك بتعليم كتابي، فهل وجدت في كتابي المستبين هذه الصلاة؟" حينها لا يمكن أن أجيب إلا بأجوبة أنا نفسي أردّها على مَن يجيب بها اليوم، من قبيل قولهم "أطيعوا الرسول" و "ما ينطق عن الهوى" وما أشبه مما نردّ استدلالهم به لأنه في غير محلّه من أكثر من زاوية كما فصّلناه في كتب أخرى. من هنا قلت بأنه يجب أولاً إقامة الصلاة القرآنية، بعد الرسوخ فيها يمكن النقاش فيما سواها لمن أراد النقاش ولم يجد ما يكفيه فيها على فرض ذلك.

س ٦: نقول ايضاً لمن شعر بالفتور والملل من صلاته الجسمانية كيف يعقل ألا يكون الامر كذلك وانت من الروح تجردت ورضخت لجسمك الأدنى فافعل بالباطن ليتجلى الظاهر بيسر وسلام.

تعليقي: من اللطيف أنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال عن القرءان {لا يشبع منه العلماء} و قال {لا يخلَق على كثرة الرد}. فمن خواص القرءان عند أهله أنه لا فتور ولا ملل فيه.

وهذا أحد أسباب وضع الله المواقيت في صلاة الفريضة (العشاء لدلوك الشمس إلى غسق الليل، والفجر من طلوع الفجر إلى ما قبل طلوع الشمس) وصلاة النافلة (بثلثي ونصف وثلث الليل كأصل، ثم ما تيسّر كاستثناء خصوصاً للمسافر والتاجر والمقاتل). لاحظي أنه ربط الصلاة أي قراءة القرءان بأوقات، ولم يربطه بحركات جسمانية أو بأعداد كمّية. لماذا؟ لأن القارئ حتى يستغرق ويتوغل ويتعمّق ويتفرغ للمعرفة يحتاج إلى تفرغ تام فيفرغ وقتاً لذلك

العمل خاصة، ثم لأن الله علم أن القرءان جميل وباطنه عميق وظاهره أنيق فإن القارئ قد يغرق في جماله ونوره لدرجة أن ينشغل عن بقية أمور جسمه ومعاشه وأهله فيفقد توازن حياته فحدد له أوقاتاً ليس من باب التكليف الشاق بل من باب التخفيف والحماية من مخاطر الاستغراق. فنلاحظ أن ما بين طلوع الشمس إلى الظهيرة وقت من النهار لم يجعل الله فيه لا صلاة فريضة ولا نافلة، لأنه قال "النهار معاشاً"، وما بعد العشاء الآخر أي غسق الليل وما بين النافلة قال "من الليل فتهجد" والتهجد فيه معنى النوم ثم الاستيقاظ من النوم، بالتالي أرشد إلى راحة ونوم بعد العشاء وقبل نافلة الليل، فجعل بهذا فاصلاً في النهار للمعاش وفاصلاً في الليل للراحة والنوم، وكذلك ذكر "تضعون ثيابكم من الظهيرة" وذلك قبل دلوك الشمس وبدء فريضة العشاء في وقتها الأول ويدل على الراحة بعد المعاش، فالوقت في القرءان متوازن يجمع ما بين الصلاة وما بين المعاش والراحة. وقد علم الله قدرة القرءآن على جذب النفس المستنيرة إلى درجة تجعلها تفقد أي اهتمام بالمعاش وبالراحة حتى قال "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم"، فلذلك وضع الأوقات.

الآن، أين هذا من ما نجده في أمر الصلاة التقليدية عند من يعرفها ولا يعرف الصلاة القرآنية. أين هذا التقييد للمصلّين الصلاة القرآنية، تقييد حتى ينظروا في أمر معاشهم وراحتهم وأهلهم، تقييد من جمال لا تقييد استعباد وتخويف، أين هذا من ما نجده عند أصحاب الصلاة التقليدية وملّة الروايات التي يبدأ تقديمها للناس بالضرب في الصِّغَر والتخويف بالحبس والقتل والحكم بالردة في الكِبَر؟ لو كانوا يعلمون لها جمالاً ونوراً لما قاموا بذلك، وتاجر البضاعة أعلم الناس بعيوبها عادةً وإن أخفاها.

لا أريد أن أقنع أحداً بأن لا يشعر بالفتور والملل من عملية نفس تكوين صورتها يؤدي إلى الفتور والملل. خصوصاً أن الله أغنانا عن هذا بتعليم كتابه. ليمتلئ قلبه بنور القرءان، وليعتاد الذكر الكثير والتسبيح بكرة وأصيلاً، ثم بعد ذلك ليكون ما يكون ولعله حينها لن يشعر بالفتور والملل حين يشارك جسمه ما يقوم به عقله ولسانه مشاركة خاصة ذات أوضاع مخصوصة واعتبارات أخرى أخفى.

أقصد بالاعتبارات الأخرى الأخفى أن هذه الصلاة التقليدية نفسها لها أدلة من القرءآن حتى على أعدادها وتفاصيلها. فمنها ما ذكرته في كتبي، ومنها ما أنتظر الفتح فيه من الله. فمن ذلك مثلاً كونها خمس صلوات وقال النبي "الصلاة نور" (لاحظي "نور" والنور أمر إلهي غيبي "الله نور"، و"العلم نور"، فالصلاة اتصال بالله ونوره وعلمه. فحقيقتها نور، وليست ظلمة حس وجسم ودنيا)، فإذا نظرتي في آية النور ستجدي أن النور فيها ذُكر خمس مرات، وإذا أحصيتي حروف هذه الكلمات الخمس ستجديها ١٧ حرفاً بعدد (نور، نور، نور، نوره، لنوره)

مـع حـذف الـلام مـن "لنوره" وذلك بـعدد ركعات الفرائـض الخمس، وإذا حسبتي الـلام مـن " لنوره" فالناتج ١٨ حرفاً ومن هنا تعرفي أهمّية ركعة الوتر في الروايات على اعتبار أن أقل الوتر ركعة واحدة. وهكذا كثير غير ذلك. لكن مثل هذه الاعتبارات الأعمق ليست أدلة بينة بالطريقة التي تجب فيها الأحكام في الكتاب المبين المستبين، إلا أنها أدلة وقرائن على كون العمل صادر عن النبي أو عن ولي عارف بالله مفتوح عليه. فضلاً عن الأدلة والقرائن الأخرى التي أشرت إلى كثير منها في كثير من كتبي.

س ٧ : ما الدليل في القران الذي يؤصل إلى نهج التدرج في إقامة الصلاة إذا رأينا أن الإجابة القائلة بأن يبدأ المسلم بالقرآنية ثم اذا رسخ فيها واستقر ينتقل للتقليدية فيجمع بينهما.

الجواب: توجد على الأقلّ هذه الأدلة.

الأول، قال الله {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول}، فعلى فهم أن طاعة الله هي طاعة ما في كتاب الله، وطاعة الرسول هي التي على أساسها تجب الصلاة التقليدية، فعلى ذلك يجب أن نبدأ من حيث بدأ الله، وهو أن نطيع الله وذلك بالصلاة القرآنية، ثم نطيع الرسول بالصلاة التقليدية—على فرض ثبوتها بتفاصيلها ووجوب إقامة هذه التفاصيل وعدم إقامة غيرها طبعاً، وهذا مبحث آخر لكن أبني الدليل هنا على ما يقبله أهل الروايات.

الثاني، بما أن القرآنية هي المنصوص عليها، فهي الفريضة. لكن في القرءآن أيضاً فتح مجال للذكر والتسبيح والقراءة والتلاوة والدعاء والسلام وغير ذلك بنحو غير مقيد بصورة محددة، كقوله "اذكروا الله ذكراً كثيراً" فلم يحدد ذكراً من ذكر ولا عدداً من عدد فكان كل ذلك جائزاً، ومن قبيل "أنزل من السماء ماء" ثم بعد ذلك تخرج أشجار مختلفة الألوان وتسيل الأودية بحسب الأودية وحالها فكذلك نستطيع أن نقول بأن الصلاة القرآنية التي هي القراءة والوقت يمكن أن تأخذ أشكالاً وألواناً مختلفة كلها جائزة من حيث الأصل لأنها مندرجة تحت أصول القرءآن الكلية في هذا الباب. فيكون الأخذ باللون والشكل الذي ثبت نقله وعمله من النبي أولى عند من يفهم شروط ذلك وتفاصيله ويقبله طوعاً ويناسب حاله. فالحكم الخاص يقتضي القيام بالصلاة القرآنية، والحكم العام المفتوح يجيز القيام بالصلاة التقليدية كلون من ألوان الصلاة القرآنية.

الثالث، قال الله {كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}، فمن تبيّن عنده أن رسول الله كان يقوم بهذه الصلاة التقليدية بهيئة معينة أثناء قراءته القرءآن وأذكاره ودعائه، فهذه الآية تدله على التأسي به. فنحن نعلم يقيناً من القرءان أن الرسول كان يقرأ القرءان في أوقات الفريضة والنافلة، لكننا لا نعلم إلا بظن وما تحت اليقين أنه كان يقوم بهذه الصورة أو تلك من تفاصيل الجسم والحس، ومن المعقول-والعقل حجّة قرآنية أيضاً فضلاً عن أنه الحجّة التي ثبت بها القرءان-أن نقدّم اليقيني على الظنّي، ونقدّم المجمع عليه على المختلف فيه، ونقدّم ما يوحّد الأمّة على ما يفرّقها وهذا بحد ذاته أمر إلهي لكل المرسلين "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" وقد علمنا أن الصلاة التقليدية مفرّقة بينما القرآنية موحدة مجمّعة من حيث أنها مجرّد القراءة والمواقيت.

س ٨: لو تكرمت وبينت لنا بما فتح الله لك معنى هذه الايات الكريمة وبينت لنا موافقتها مع ما ذهبت إليه في كتابك الأخير حول التفريق بين الصلاة القرانية والتقليدية وفق الرؤية العرفانية. قال تعالى(يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا عفورا) فمعروف في الصلاة التقليدية ان الطهارة من شروطها ومن بينها الغسل بعد الجنابة او التيمم فهل ينطبق الامر ايضا على الصلاة القرآنية اي هل يشترط فيها الطهارة بالغسل والتيمم كما في الصلاة التقليدية؟

وفي اية اخرى قال تعالى(يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوحوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) وفي هذه الاية ايضا تأكيد على الطهارة بحيثية معينة اغسلوا وجوهكم وامسحوا برؤسكم الى اخر ماجاء من تعاليم في الاية الكريمة التي هي تعد مقدمات للصلاة التقليدية فهل ينطبق الامر ايضا على الصلاة القرآنية وهل يشترط في الصلاة القرانية الطهارة والغسل؟ وهل يشترط الغسل بعد الجنابة؟ وماذا يستفاد من غسل الوجه للصلاة او الطهارة بعد الملامسة؟

الجواب: أوّلاً، إذا نظرنا إلى ظاهر الآيات، فلا يوجد شيء يمنع من أن تكون الطهارة المذكورة شرطاً للصلاة القرآنية كما هي شرط للصلاة التقليدية عند فقهاء الروايات. السبب هنا هو السبب هناك أيا كان هذا السبب.

ثانياً، في الصلاة القرآنية، يظهر معنى هذه الآيات أكثر. لأن الله قال عن القرءآن "لا يمسّه إلا المطهرون"، فناسب هذا المعنى تطهير النفس وتطهير الجسم من حيث أن القارئ يعقل بنفسه ويتلو ويمسك المصحف إن كان له مصحف بجسمه. فالمقصد هو بلوغ حقيقة الكتاب المكنون.

ثم نقول: غسل الوجه حتى تستيقظ وتتنشّط للقراءة وكذلك حتى تواجِه المؤمنين إن كنت تتدارس الكتاب في جماعة. وغسل اليدين حتى تمسك الكتاب والصحف المكرمة القرآنية بهما. ومسح الرأس بمعنى أنك ستأخذ الماء من يديك أي من الآيات التي تمسكها وتضعها على أعلى رأسك بمعنى تعقلها وتفهمها، ومسح الرجلين بعد الرأس إشارة إلى تغيير عملك وسلوكك بحسب ما عقلته وفهمته من الآيات. فهذه العملية الرباعية تشير إلى مواجهة الكتاب بالإقبال بوجه القلب عليه، ثم التمسّك به باليدين "الذين يُمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة"، ويدل على قراءة القرءآن بيد الملك الظاهرية ويد الملكوت الباطنية، ثم مسح الرأس يعني أخذ الآيات ووضعها في العقل، ثم مسح القدمين يعني إظهار ما عقله على قدمي القول والفعل في الأرض فتقول وتفعل بحسب ما تعقل.

أما قوله تعالى {يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا)

فقوله {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون} يدل على أن الصلاة قول وعقل. فلم يقل "حتى تعلموا ما تقولون وتفعلون"، ولو كان في الصلاة فعل أيضاً لذكر الفعل أو لقال "حتى تعلموا ما تعملون" على أساس أن العمل يشمل القول والفعل، فالقول غير الفعل "لم تقولون ما لا تفعلون" لكن العمل يشملهما معاً "ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون". فهذه الآية دليل على أن الصلاة في القرءان هي قول وعلم، وتلك هي القراءة. فالقراءة قول وعلم. أما السكر فيدخل على العقل، وهذا بحد ذاته يدلك على أن أي إخلال بالعقل في الصلاة وما يمنعه من التعلّم في الصلاة فهو خلل في الصلاة. الآن، اعتاد الناس على اعتبار السكر هو

مجرّد شرب الخمر المادي، والحق أنه يوجد ما هو أشدّ من الخمر وما هو أحق باسم الخمر والمسكرات من الخمر المعروفة، من قبيل العقائد والأفعال الجسمانية التي تحول بين المصلي وتعلّم ما يقوله والانتفاع العلمي من القرءان.

ثم إن {الصلاة} هنا تشير أيضاً إلى مكان إقامة الصلاة، لذلك قال {ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا}، فالمرور يكون بمكان الصلاة. فسمّى مكان الصلاة صلاة، كقوله "وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله". مما يشير إلى اتخاذ أماكن مخصصة للصلاة، ويشهد لهذا قوله "اتخذوا من مقام إبراهيم مُصلّى". وهذا مما يعين على التركيز العقلي في القراءة والحضور، كما هو معلوم عند أهل القراءة عادةً، فضلاً عن ما سوى ذلك من بركات، ويعزز هذا ذكر المحراب لزكريا ومريم وداود، والمحراب مكان الحرب لأن الصلاة حرب بالنور ضد الظلمات، وحرب بالعقل ضد الجهل، وحرب بكلام الله ضدّ كلام الخلق.

المريض والمسافر والغائط واللمس، هذه الأربع كلها تشير إلى متاعب الجسم وعوائقه ومشاكله. وكلها تؤدي إلى عدم تركيز العقل أي هي نوع من المسكرات إن شئت بدرجات مختلفة والتي تجعل المصلّي لا يعلم ما يقول أو لا يحسن تعقّل وتعلّم ما يتلوه من كتاب الله تعالى. هذه الأربعة تدل على كون الوعي مستغرقاً أو محبوساً في الجسم وآلامه وهمومه ومشاغله، وقد علمنا أن الوعي كلما هبط للجسم كلما ابتعد عن الروح. فلذلك كان الأمر بالاغتسال والطهارة وسيلة كأنها وسيط يرفع الوعي من مجال الجسم إلى مجال الروح والحق المتعالي ويُدخله حضرة القرءان.

أما قوله لمن لم يجد الماء {فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم}، فالماء له أربع أعضاء، وجه ويد ورأس ورجل، لكن الصعيد وهو تراب وأرضي خلافاً للماء السماوي، له الوجه واليد، لأن وضع التراب على الرأس والقدم يشير إلى تحوّل العقل والعمل إلى البُعد الأرضي المادي وظاهر الحيوة الدنيا وهو شأن الغافلين والكافرين، فلذلك اكتفى بالوجه واليد للتنبيه المعنوي، وكذلك لأن التراب يشير إلى الأمثال والكلام اللساني وهو ظاهر القرءان الذي تواجهه وتأخذه بيدك، فالقرءان له بُعد ترابي وبُعد مائي. فالأصل الوجه واليدين في الحالتين، لأنه لابد من التوجّه والأخذ. وعلى العموم الماء أو الصعيد وسيلة تنبيه وعمل شيء له طابع شعائري حتى يجذب الوعي من العمل ذي الطابع الدنيوي والشهواني إلى العمل الروحاني العقلاني.

ثم ختم بأسماء حسنى {إن الله كان عفواً غفورا} فالله هو منزل الكتاب، والعفو يشير إلى الماء الذي يغطي الإنسان كله بأبعاده الأربعة، لكن الغفور يشير إلى الغفر وهو الستر ويشير إلى الصعيد الذي يستر على الأقلّ أهمّ ما في الإنسان بالنسبة لصلته بالكتاب. وفي الجملة كلاهما يدل على أن أصل تعامل الله في هذه القضايا هو العفو والمغفرة، وليس الشدة

والانتقام ونحو ذلك. فتأمل هذا فهو أصل بديع في الفقه القرآني. وعززه بالآية الأخرى {مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون}. فالمقصد النهائي تحقيق الشكر، وليس مجرّد إقامة الشكليات والتصرف بالماديات. وهذا من أصول فقه القرءان، والذي المقصد من الصلاة وشؤونها فيه هو تغيير النفس، من الكفر إلى الفكر والشكر، من الغفلة إلى الذكر، من العصيان إلى فهم وطاعة الأمر. "كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنهم ربهم إلى صراط العزيز الحميد".

...

لا يستقرّ القرءآن في قلب إنسان ثم يخرج منه شيء تام البطلان، بل لابد أن يكون له وجه من الحق وشيء من الحق بالضرورة.

وعلى هذا الأساس، أقبل كل ما يصدر من المسلمين والمسلمات، قبولاً مبدئياً، بدون النظر فيهم كأشخاص، فلا أبالي ولو كان عامّياً وجاهلاً وفاسقاً وظالماً، بل ولو كان وهابياً. طالما أنه يقرأ القرءان ويؤمن به ولو بأدنى درجات الإيمان، فلابد أن يكون فيه نور ما ويعكس شيئاً من روح الله.

...

قالت: لمن احد يسالك ثم يقولك استفتح علي. ثم انت تقول بسم الله ثم تقرأ ايه من القران. ايش يعني ما فهمت. كانها رساله للسائل بس ما فهمت كيف.

قلت: استخير الله وأفتح القرءان راجياً توفيقه لرؤية آية تبين الموضوع المسؤول فيه وتفهيمها لي في قلبي. فأضع إصبعي على موضع ما ويكون تحته الجواب بإذن الله. كما أن كفالة زكريا مريم كانت بإلقاء الأقلام، وقدر الله في يونس ظهر بالمساهمة فألقوه من السفينة، فكذلك اختيار الله يظهر في مثل هذا إن شاء الله.

...

قال: ماهي شروط الخلوه مع الله.

أقول: أوّل الشروط، عدم تخيّل أنك موجود "مع" الله. فلا يوجد شيء "مع" الله، بل الله تعالى هو مع كل شيء، {وهو معكم أينما كنتم}. لا يمكن أن يوجد شيء مع الله، وإلا كان هذا الشيء إلهاً. {أإله مع الله}. فحين ترى هذا، سترى أنه لا يمكن أن تكون في خلوة أصلاً، لأن الله مع كل شيء، وأنت مع أشياء كثيرة بالضرورة لأن جسمك مثلاً سيكون في مكان ما وحولك وفوقك وتحتك ومن جهاتك أشياء حتماً. فلا توجد خلوة بهذا المعنى.

نعم الخلوة معناها، الابتعاد عن الناس تحديداً، أو عن الناس والحيوانات الظاهرة للعين. هذا أقصى ما تبلغه الخلوة من حيث ظاهرها. فالمقصود من الخلوة الظاهرية هو تحديداً

ملاحظة فردية وتحمّل مسؤولية ذاتك. لأن الإنسان عادةً ما يضيع وعيه وسط المجتمع ويتماهى مع مَن حوله فينسى فرديته ومسؤولية المطلقة عن نفسه. الخلوة تُرجعك بإذن الله إلى هذا الوعي بالنفس.

فإذا دخلت الخلوة، فاشتغل بالأمور النفسية فقط. الأمور التي تُصلح النفس للقاء الله والدار الآخرة، مثل التأمل في نفسك لاستكشاف حقيقتها، وذكر الله كثيراً بأسمائه الحسنى، وقراءة القرءان بتدبّر وتعقّل، والدعاء، والكتابة كحوار مع النفس وكاستقبال الإلهام من الله الحي القيوم وما يلقيه عليك بالروح والملائكة، والصلوات المأثورة عن النبي وأهل بيته وأوراد الأولياء والصالحين، وما أشبه ذلك من أعمال.

النظافة في البدن واللباس والمحيط، مهمة من باب سلامة المحيط حتى لا يتشتت وعيك بالماديات بسبب عدم النظافة، وكذلك من باب التناسب ما بين ظاهر الجسم وباطن النفس فالنظافة في الظاهر تناسب الطهارة في الباطن، والله قدوس وطيب وسلام وجميل فتتقرّب إليه بتمثّل أسمائه بقدر وسعك في حدود نفسك وعملك.

الصيام كثيراً أمر صالح، وإن لم تَصُم فعليك بما هو مثل الصيام في تجريد النفس وهو الأكل النباتي، فإن النباتيات خفيفة على البدن سهلة الهضم سريعة التحلل فلا تستهلك منك طاقة كثيرة وتجعلك بإذن الله نشيطاً متجرّد النفس حاضر العقل وأكثر سلاماً وأبعد عن الأشياء الميتة والمذبوحة وما صاحب ذلك من عنف وقسوة بالضرورة، فأنت تريد التقرب إلى الحيّ فليكن أكلك أقرب للحياة وأبعد عن الموت.

هذه قواعد الخلوة عندي. وثمرة الخلوة أن لا ترى في الوجود إلا الله وتجلياته وآثاره. فتستشعر حضوره معك في كل حين، بل لا ترى نفسك إلا شعاعاً من نفسه المتعالية المقدسة. {يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربّك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنّتي}.

...

قصّة سليمان من سورة ص توازي سورة الكوثر.

آية{عُرض عليه} توازي {الكوثر}. آية {أحببت حب الخير} توازي {فَصلِّ}. آية {ردّوها عليّ} توازي {انحر}. آية {ألقينا على كرسيه} توازي {الأبتر}. الدعاء صلاته. الريح روح تأويل وفهم في كل صورة. الشياطين صُنّاع الصور.

ثم أيوب: مرضه الصور البدنية. {اركض برجلك} وليس "برجليك"، {اركض} لأنك مكبّل بسبب تلك الصور، {برجلك} عقلك أنت ووسيلة حركتك أي فهمك. حينها ترى كتاب الله كله {مغتسل

بارد وشراب}. {مغتسل} ظاهر، إرادة، حكم. {شراب} باطن، عقل، علم. {أهله} الكلمة "كلمة التقوى..وأهلها". {مثلهم} العمل: تخلّى عن شيء فعوضه الله. الرجل العقل، الأهل القول، المثل العمل "لم تقولون ما لا تفعلون". {رحمة} القول. {ذكرى} الفعل. {أولي الألباب}: لبّ الذكر {اركض} "ففرّوا إلى الله"، لب الفكر {مغتسل} "سأرهقه صعودا. إنه فكّر..سقر..لواحة للبشر"، لب الدعاء {شراب} "كباسط كفيه إلى الماء".

وعليه: {مسني الشيطان بنصب وعذاب} في العقل والقول والفعل، وَالذكر والفكر الدعاء. {مسّني} "يتخبطه" فهو القيام، {نصب} "عاملة ناصبة"، {عذاب} لا علم غيب فهو "لبثوا في العذاب المهين".

{وخذ بيدك} يد النفس هي اللسان، لسانك وقلمك، تعبيرك. {ضغثاً} أمثال وصور وعبارات "أضغاث أحلام". {فاضرب به ولا تحنث} مَن خالفك في شرع والمنهاج والنسك بغير الحق. {صابراً} على التفرّد.

أيوب: من الحس والتقليد، إلى العقل والتفريد.

في سليمان: بدأ بذكر أنه {نِعم العبد إنه أواب}، في أيوب: ختم بذكر أنه {نعم العبد إنه أواب}. فسليمان قوس نزول، وأيوب قوس صعود.

...

ذكر الجنّة والنار في سورة ص: بينهما تناظر، الآية الأولى مع الأولى، والثانية مع الثانية، وهكذا حتى تختم ذكر الجنّة ثم يُكمل في ذكر النار. فافهم كل آية في ضوء الأخرى، وخذ الأظهر كضوء للأخفى، واعرف العلاقة بينهما.

أ-{هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب} توازي {هذا وإن للطاغين لشرّ مآب}. فالفرق هو أن المتقين معهم الذكر، بينما الطاغين ليس لهم ذكر. فالجنّة هي الذكر. وما سوى ذلك فروع وبيان حال أهل الذكر وأهل عدم الذكر.

المتقون هم الذين عرفوا أن النفس لا تموت فهي منجذبة للعذاب، كما أن البدن إن تركته يجذبه العذاب كألم الجوع والعطش ثم الموت. فالعذاب آتي للنفس، كما أن العذاب والموت آتيان للبدن. ولابد من اتقاء عذاب وموت البدن بالأسباب، كذلك لابد من اتقاء عذاب النفس بالأسباب. وهذه الأسباب تدور كلها مدار الذكر، {ص والقرءان ذي الذكر} {هذا ذكر وإن للمتقين} فهم أهل الذكر والقراءة باسم ربهم وكتاب ربهم. وأما {الطاغين} فكما قال بعد ذكر القراءة في العلق "كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى" يعني استغنى بالبدن عن النفس، واعتبر أن

اتخاذ أسباب عدم العذاب وإبعاد الموت عن البدن يكفي لجعله في النعيم، "إن إلى ربك الرجعى" فسعيهم لن يفلح ولو عاشوا ألف سنة.

ب-{جنّات عدن يدخلونها مفتحة لهم الأبواب} توازي {جهنم يصلونها فبئس المهاد}.

العدن هو التوطن والاستقرار، والجنّات هي سورالقرءان. فالروح توطّنت في هذا القرءان وتجلّت به. كذلك أهل القراءة مستقرون عند آيات ربهم. يدخلونها بالقراءة باسم ربهم، مفتحة لهم الأبواب وهي طرق الفهم والفتوحات الربانية ولا يضن بها عليهم النبي ويضع العراقيل والحجب المصطنعة لمنع الناس من دخلوها. وهذا الدخول في الصلاة.

وبالعكس، أهل الغفلة في جهنم، يصلونها، فمن لم يكن من المصلّين كان من الصالين.

ج-{متكئين فيها} راحة، لأنهم يعلمون أنه كتاب الله فكل ما فيه حق، خلافاً لكلام البشر الذي يجب أن تعاني لتخليص الحق من الباطل فيه، والكذب من الصدق، والوهم من الحقيقة.

{يدعون فيها} يدل على أن القراءة للفهم والتعقل، تتضمّن أيضاً الدعاء أثناء القراءة والتوجه لله بالابتهال والسؤال.

{بفاكهة كثيرة وشراب} الفكر والذكر.

هذه توازي {هذا فليذوقوه حميم وغسّاق}.

د-{وعندهم قاصرات الطرف أتراب} الآيات تنظر إليهم فقط، فالكتاب يُكلّمهم وكل آية نازلة في شأن قارئها فقط بالنسبة له، وتنفتح له بنحو يناسب مستواه النفسي فلا تعذبه بكونها أعلى منه ولا تستخفّه بكونها أقل منه، بل تتجلى له بحسب استعداده وترتقي به شيئاً فشيئاً وكلما اتسع القارئ اتسّعت الآية له.

هذه توازي {وءاخر من شكله أزواج}.

هـ-{هذا ما توعدون ليوم الحساب} توازي {هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار}

فأهل الحساب وهو العقل ومعرفة قيمة كل شيء وحقيقته، سيعرفون بالذكر حساب الأمور كلها بدون حسبان وتوهم.

بينما أهل الجهل والبُعد عن القرءان، فهؤلاء يعيشون في تقاليد ضيقة كأصحاب التاريخ الجزئي والمذاهب الصورية، فإنها لكونها ضيقة لا تحتمل الرحب وهو الرحابة في المعنى، لذلك

كل فريق يريد أن يقتحم التقاليد ويأتي فيها بما يناسب عقله وتفرده لابد من أن يضيق ذرعاً بالآخرين ويعذّب بعضهم بعضاً ويطرد بعضهم بعضاً من الحق والصواب حتى يدخل هو. لكن كتاب الله أوسع من ذلك ويسع الكل.

و-{إن هذا لرزقنا ما له من نفاد} هذا في كلمات الله، "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي". فرزقه تعالى هو القرءان.

بالضد من ذلك قوله {قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار. قالوا ربنا مَن قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار.} فأصحاب التقاليد يعيشون في الضيق، ويتبع اللاحق فيهم السابق، بدلاً من الأخذ عن الله تعالى، فكل لاحق وخلف يعتبر نفسه مقيداً بما كانت عليه صورة السابق والسلف، فإذا تعذبوا أو خسروا لعنوا مَن قبلهم. فهؤلاء لا يعرفون أنفسهم بالله، لكن يعرفون أنفسهم بالسلف.

فأهل كلمة الله يأخذون من المطلق واللانهائي الأعلى الذي لا ينفد، بينما أهل قول البشر يأخذون من الجزئي المتناهي العدمي الضيق الماضي. أهل القرءان فوق التاريخ، أهل جهنم مساجين التاريخ.

...

{أنا} الله، إثبات محض. {أنا الغفور} {أنا الله}.

{أنا} الصالحين، إثبات ونفي. {أنا النذير} {ما أنا عليكم بوكيل}.

{أنا المجرمين، في الدنيا إثبات محض وفي الآخرة عند العذاب يدخلون في النفي، ففي الدنيا {أنا خير منه} {أنا أحيي وأميت} {أنا ربكم الأعلى}. لكن في الآخرة، أي آخرة الدنيا يقول فرعون {وأنا من المسلمين} ونفى قبلها الألوهية عن نفسه ضمناً {لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل} وقد كان أثبتها لنفسه في قوله {ما علمت لكم من إله غيري}، وفي الآخرة الكبرى يقول إبليس {ما أنا بمصرخكم}. فالمجرم يريد التشبه بالله في الأنا في الدنيا.

{أنا} الله، موضوعها الكمالات.

{أنا} الصالحين، متعلقة بالخيرات مثل {أنا النذير} و {أنا خير المنزلين}.

{أنا} المجرمين، متعلقة بالشرور، إما العنصرية كإبليس {أنا خير منه خلقتني من نار}، وإما التجبّر مثل الملك مع إبراهيم {أنا أحيي وأميت}، وإما ادعاء الربوبية على الناس مثل فرعون {أنا ربكم}، وإما المال وفروعه مثل صاحب الجنّتين {أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً}. ولاحظ أن أنا المجرمين دائماً تفتقر إلى كائنات أخرى تعلو عليها، فإبليس افتقر في أناه إلى آدم، والمتجبّر مع إبراهيم افتقر إلى الناس الذين سيحييهم ويميتهم بأحكامه القضائية، وفرعون

افتقر إلى بني إسرائيل وقومه، وصاحب الجنّتين افتقر إلى صاحبه الذي يحاوره ليتكاثر عليه بالمال والنفر. فأنا لمجرم تفتقر إلى مَن تطغى عليه، وتستمد الحياة ممن تتوهم أنه تحتها. فهو جبابرة باللفظ، سفلة منحطين بالحقيقة.

...

في سورة ص ثلاثيات متناظرة.

فذكر الأحزاب مع النبي {مهزوم من الأحزاب}، ثم ضرب لهم الأمثال فذكر ثلاثة {كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد}، وثلاثة بعدها {وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب}.

ثم وازن هؤلاء بثلاثة من الأثلاث. فذكر داود وسليمان وأيوب. ثم ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ثم ذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل.

(تنبيه: إسماعيل مثل إبراهيم، وإسحاق مثل اليسع، ويعقوب مثل ذا الكفل. يعني اليسع ابن إسماعيل، وذا الكفل ابن اليسع. "من ذريتنا أمّة مسلمة لك" ثنّى "ذريتنا". فذرية إبراهيم شيء، وذرية إسماعيل شيء آخر، فكل واحد منهما مستقل عن الآخر. وأما قول إبراهيم " الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق" فلا يدل على أن إسماعيل ولد صلب لإبراهيم، فالوهب لا يعني الولادة بالضرورة لقوله "وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا" فقد يكون إسماعيل من إبراهيم مثل زيد من محمد.)

داود جاء بأمر شامل، فيه تسبيح وحكمة وفصل خطاب وحكم بين الناس. تبعه سليمان في صورته، ففُتن ثم نجا، وكان لسليمان شياطين، فتبع أيوب بعض هؤلاء الشياطين فتعذّب ثم نجا. التقليد فتنة وعذاب، والتفريد جنّة ونعيم.

...

قد يقول طاغية: {وورث سليمان داود} فهذا توريث الملك وأنا على سنّته.

أقول: لو كنت تسمع نداء النمل وتعلم ما لدى الهدهد من بيان، فعندها تعال أيها الطاغية وقِس جبريتك على مُلك سليمان. سليمان ورث داود، وداود آتاه الله الملك بعد طالوت، وطالوت جاء بالاختيار، فلا من هذا الوجه ولا من تفاصيل أمر داود وسليمان في القرءان يوجد أي حديث عن الاجبار.

...

سنّة جبريلية (من صاحبتي): بعد صلوات الفرائض نستفتح القرءان وننظر في الآية كرسالة حية لنا من الله تعالى لنا في هذا الوقت.

...

{صدّقت بكلمات ربها وكتبه} الكلمات متعالية ولامتناهية، الكتب تجلي الكلمات وهي متناهية الصورة. بدليل "ما نفدت كلمات الله" بينما الكتب محدودة في توراة وإنجيل وفرقان وزبور وقرءان وما أشبه والكتاب له أول وآخر وحد كما تجده في الصحف أمامك "ما عندكم ينفد وما عند الله باق".

{وكانت من القانتين} صمت التأمل رجاءً لحصول فتح من الله في الوقت. فهذا خلاف التأمل الذاتي الذي يسعى للسكون العقلي والنظر في جوهر النفس.

...

ما معنى {إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار}؟ ما هذا العهد؟ لو كان عهداً كاذباً مطلقاً لردّه الله ولم يقل {جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم} فلو كان كذباً خالصاً وما كان ثمّة عهد مثل هذا لما جاءت رسل به. فقد كان ثمّة عهد بهذا النحو، لكن القول حرّفوه وغيّروه وجهلوا حقيقته. فما هو العهد؟

مفتاحه في قول بعض الأئمة الصالحين "الصلاة قربان كل تقي". الرسول يأتي بكتاب من عند الله، والآفاق والأنفس أصلاً كتب إلهية. الصلاة قراءة وفهم وتعقل. الأكل هو قبول الشيء وتماهيه. النار هي كلام الله لقوله في موسى {بورك مَن في النار}.

قال الله {ورتّل القرءان ترتيلاً. إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً} فالقول هو فهم القرءان. فالقرءان هو النار، والصلاة هي القراءة العاقلة وهي القربان، وأكل النار يعني المعنى الذي يأتي به الرسول لابد أن يكون موجوداً في ومتلائما مع ويقبله كلام الله. لذلك قال {جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم} فالبينات هي ما يُفتح من الوحي المتعالي على الحجاب وعلى الرسول الموحي، أي هو من الوحي المجرّد المباشر، وقد يكون أي معنى حق بينة من البينات أيضاً. لذلك قال عيسى أنه {مصدقاً لما بين يدي من التوراة} وقال عن النبي {وصدّق المرسلين} وذكر تصديقه للكتب قبله.

...

{هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون}

الأمر إما فردي (القلب)، وإما جماعي (الشورى). إما أخروي (العقل) وإما دنيوي (التجربة). إما للذات (الكشف) وإما للغير (البرهان). بما أن القرءان أثبت كل هذا، فانتهت المسألة. فهذه أصول الحكم بالأمر في مواضيعه المختلفة.

المقصد النفس. ومدار النفس الآخرة وَ الدنيا متاع ووسيلة تفرغ فقط ونجاح الوسيلة مشهود بالتفرغ لأعمال الآخرة فهذا معيار الصدق.

ثم النفوس سواسية {النفس بالنفس} وَ {من نفس واحدة} وَ {هو الذي أنشأكم}، فالمُنشىء واحد والأصل واحد والحكم واحد.

النور ذكر وفكر ودعاء: الذكر بالاسم وهو معروف، والفكر بالبرهان وهو معقول، والدعاء للرب وهو مشهود. وكل ذلك في القرءان مفصّل وموصوف.

{فمستقر ومستودع}:

المستقر أمر الروح، {كل أمر مستقر} {الروح من أمر ربي}، هنا المستقر الحق.

المستودع أمر الجسم، {كل من عليها فان}. سُمّيت "النفس" لأن الروح والبدن عارية، {مستودع}.

المستقر كالضوء من الشمس، المستودع كالضوء من نار مستوقدة فلها أمد. فلابد من صنفين من الأحكام للنفس، صنف مستقر وصنف مستودع. وليس الكل مستقراً، وليس الكل مستودعاً.

المستقر ما يجعل في النفس نوراً إلى الأبد، المستودع ما يخدم تفرغ النفس لأمر الأبد. الجوهر والعرض. الثابت والمتغير بالظروف. اللب والقشر. الكليات {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}، الجزئيات {فلا ينازعنك في الأمر} {وادع إلى ربك} تأمل {ربك}.

إذن: قراءة القرءآن في الوقت: مستقر.

صور وحيثيات الصلاة: مستودع.

الفقه في الآيات: مستقر. "جنات عدن" (توطن).

صورة الآية: مستودع.

...

بعد تحررك دينياً وكلامياً، لا يبقى إلا الاشتغال بأمر الآخرة والسعي لرحمة الله والالتفات إلى النفس دون البدن إلا قليلاً.

...

{لا يكلف الله إلا نفساً} فالتكليف للنفس، لا للروح ولا للبدن. فكل تكليف لابد أن يكون له تأويل في النفس وهذا فقهه.

قال {إنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومَن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل} ثم بيّن ما هي النفس المقصودة بالكتاب فقال بعدها مباشرة {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويُرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} ونحن نرى أن البدن في مكانه في الموت وفي المنام، فالنفس أمر وراء البدن، وهذه النفس هي المخاطبة أصلاً بالكتاب والهداية متعلقة بها والتفكر عملها ومعرفة الحق نجاتها.

تحويل الدين من أحكام نفسية إلى أحكام حسّية، هو أساس العذاب المهين والضلال المبين.

...

خُلقت الأبدان من أرض واحدة {منها خلقناكم}، وخُلقت النفوس من نفس واحدة {خلقكم من نفس واحدة}، فمن ادعى أو عمل على غير أساس المساواة بين الأبدان في الأمور البدنية أو بين النفوس في الأمور النفسية فقد كذّب بالقرءان وجهل حقيقة الأمر، وظلم نفسه وغيره.

...

الزوج من يتبعك في أمورك النفسية. قال {خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها} وقال {من تبعني فإنه منّي}.

...

{قل هل يستوي الذين يعلمون..قل يعبادِ الذين ءامنوا اتقوا ربكم} بتبيان العلم الذي آتاكم، فهاجروا وجاهدوا لذلك.

{للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة} المراغم الكثير والسعة.

{وأرض الله واسعة} للهجرة.

{إنما يوفّى الصابرون} على الهجرة والبيان. {أجرهم بغير حساب}.

لذلك بعدها {قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين} وما بعدها في البيان التام مع الحرية الدينية والكلامية للكل {فاعبدوا ما شئتم من دونه} وذكر خسرانهم {يوم القيامة} وأصل التقوى من النار الأبدية لا البشر.

...

اتخذ لنفسك دفتراً خاصاً تُسجِّل فيه ما دعوت الله فيه حين أصابك ضر أو غير ذلك، ثم انظر فيه كل فترة لترى وتتذكر، فإذا استجاب لك فاكتب بعد الدعاء (استجاب كما وعد في كتابه، فاشكره وحده وحدِّث بنعمته) أو نحو ذلك. وسمّه (دفتر النعمة والدعوات).

وذلك لأني قرأت آية {وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار}، فحتى لا تنسى اكتب كما قال {علمها عند ربي في كتاب لا يضلّ ربي ولا ينسى}.

...

الزمر ٢١: {ماء} القرءان. {ينابيع} القُرّاء. {زرعاً} مذاهبهم. {حطاماً} تغيّر الزمان والمكان والأحوال يبطل صور مذاهبهم وتوجب مذاهب جديدة لزمان جديد.

...

{خلقكم من نفس واحدة} سورة الحمد.

{ثم جعل منها زوجها} سورة الإخلاص.

{وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} الأنعام سبعة أحرف فهي الأيام السبعة للأسبوع، لكل يوم ثمانية أزواج من النعم الإلهية التي هي السور القرآنية فهذا ١٦ سورة لليوم، فيكون المجموع ١١٢ سورة، ومع سورتي الحمد الأم الجامعة والإخلاص التي هي روح الفاتحة وخلاصة الوحي ومفتاحه كل علومه وأحكامه ومقاصده يتم القرءان ١١٤ سورة.

{يخلقكم} بالقراءة التعقلية.

{في بطون أمهاتكم} أجسامكم، فنفوسكم في بطونها تنتظر الولادة بالموت في الدار الآخرة.

{خلقاً من بعد خلق} أطوار ومقامات ودرجات وأسماء وأمثال.

{في ظلمات ثلاث} البدن والجسم والجسد. الطول والعرض والعمق. الطبيعة والمجتمع والبدن.

{ذلكم الله ربكم} نور الظلمة الأولى، {له الملك} نور الظلمة الثانية، {لا إله إلا هو} نور الظلمة الثالثة. {فأنّى تُصرفون} عن هذه الحقائق والعمل بالقرءان بالدنيا.

من {خلقكم} إلى {أزواج} ١٤ كلمة. تدل على ١٤ حرفاً من الفواتح التي هي آيات الكتاب مثل "الم" و "ن". وتدل على {الرسول وأولي الأمر منكم} وهم ١٤، فالرسول واحد وعدد حروف {أولي الأمر منكم} ١٣، وبهؤلاء يعرف الذين ءامنوا القرءآن وعلمه واستنباطه إن لم يعلموا فهم أصل أهل الذكر.

{ذلكم الله ربكم} مثل "رب الناس".

{له الملك} مثل "ملك الناس".
{لا إله إلا هو} مثل "إله الناس".
فقوله {فأنّى تُصرفون} أي بالوسواس الخنّاس. ومن استعاذ بالله وتمسّك بالقرءان وصلاته أعاذه. قال "فإذا قرأت القرءآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم".

هذا ترتيب سور القرءان بحسب الترتيب الإشراقي العكسي والسباعي. أي من أطول سورة إلى أقصر سورة، بالعدد ثم بالكلمات إن تساوى العدد ثم بالحروف إن تساوى العدد والكلمات. (تنبيه: روي في التاريخ أنه كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام مصحف مرتّب على سبعة أيام، فلستُ بِدعاً من القراء)

كل يوم تبدأ بسورة الحمد وَ سورة الإخلاص. ثم تقرأ:

يوم الأحد: البقرة وطه، يوسف والنمل، الرحمن والنجم، فُصّلت والنازعات، القيامة والسجدة، نوح والمزمّل، الطارق والجمعة، التين والمسد.

يوم الاثنين: الشعراء والتوبة، الإسراء والزخرف، الفرقان والروم، الشورى وفاطر، محمد والملك، الغاشية والبلد، الشمس والعاديات، التكاثر والفيل.

يوم الثلاثاء: الأعراف والنحل، الكهف والقصص، الأنفال والذاريات، إبراهيم وق، الجاثية والفجر، الانشقاق والانفطار، الصف والضحى، الشرح والفلق.

يوم الأربعاء: آل عمران وهود، يونس وص، الزمر والدخان، القلم والمعارج، المطففين والحديد، الحشر والأعلى، الممتحنة والقارعة، الماعون وقريش.

يوم الخميس: الصافات والمائدة، الحجر وغافر، الأحزاب والمدثر، الحاقة والرعد، الأحقاف والفتح، المجادلة والعلق، الطلاق والهمزة، الكافرون والنصر.

يوم الجمعة: النساء والمؤمنون، مريم ويس، العنكبوت والقمر، المرسلات وعبس، لقمان والتكوير، البروج والحجرات، التحريم والبينة، الناس والعصر.

يوم السبت: الأنعام والأنبياء، الواقعة والحج، النور وسبأ، الطور والنبأ، الإنسان والجن، الليل والتغابن، المنافقون والزلزلة، القدر والكوثر.

انتهى.

ملحوظات:

١-في الترتيب الإشراق، رتّبنا السور من سورة الكوثر لأنها السور ذات أقلّ عدد آيات وكلمات وحروف، ثم تدرّجنا صعوداً إلى سورة البقرة ذات أكثر عدد آيات. لكن في هذا الترتيب، عكسنا الأمر، وقسّمنا السور على سبعة أيام، فوضعنا البقرة في أول الأحد ثم آلشعراء في أول الاثنين وهكذا إلى الأنعام (ولاحظ أن الأنعام هي سابع أطول سورة وهي فاتحة سابع يوم) ثم نرجع إلى ثاني سورة من يوم الأحد وهكذا نزولاً.

٢-ستجد أن عدد الآيات يقلّ تدريجياً في القراءة اليومية، وهذا متناسب مع الجهد الطبيعي، لأن الطاقة تبدأ كثيرة فناسبها أن تقرأ بالأطول أولاً، ثم تتناقص الطاقة مع بذل الجهد في القراءة والتعقل وهكذا تنازلاً فناسب ذلك أن تقلّ عدد الآيات كلما قرأت، بالإضافة إلى أن معرفة التفاصيل أولاً يبيّن المجملات والعبارات المكثّفة الواردة في السور الأقصر.

٣-ستجد أيضاً أن عدد الآيات التي تقرأها كل يوم أكثر من اليوم الذي بعده، فمثلاً يوم الأحد ستقرأ ١٠٢٤ آية، ويوم الاثنين ٩٤٤ آية، ويوم الثلاثاء ٩١٣، ويوم الأربعاء ٨٩٣، ويوم الخميس ٨٤٥، ويوم الجمعة ٨٢٣، ويوم السبت ٧٨٣. فهذا أيضاً يناسب الاتجاه نحو الراحة.

٤-ذكر حرف الواو بين كل سورتين على أساس أنهما {أزواج}، لكن ليس ضرورياً أن تقرأهما هكذا بل يمكن أن تقرأ السور كلها دفعة واحدة أو كما شئت. لكن ذكرها كأزواج فيه فوائد، منها لمن يريد أن يقرأ مثلاً في كل ركعة سورة فيقرأ في كل نافلة من ركعتين مثلاً زوجاً، أو مَن يريد أن يقرأ زوجاً ويرتاح، أو يقسّم الأزواج على يومه فيقرأ في الصباح شيئاً وفي السماء شيئاً، فالأمر مفتوح وانظر الأنسب لك والله الهادي.

...

سأل تبيين قوله تعالى(ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأُحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم) وقال: وهنا ترد عدة اسئلة منها انك ذكرت في بعض كتبك عدم وجود(النسخ) في الآيات القرآنية كما يدعي رؤساء الاحزاب والفقهاء فاذا كان لايوجد نسخ فما هو المقصود بقول عيسى(احل لكم بعض الذي حرم عليكم) ثم اننا نعلم وكما ذكرت ايضا ان شرف الانبياء بانتسابهم لله وانهم

رسل يحملون رسالة فلا يحق لهم تحليل ما حرم الله او تحريم ما احل الله فأذن ماذا يحل لهم وظاهر النص نسبه التحليل لنفسه واخيرا ما الذي كان محرما عليهم ثم جاء عيسى يحله لهم.

أقول:
قلتُ لا يوجد نسخ كما يدعي رؤساء الأحزاب، ولم أقل لا يوجد نسخ مطلقاً. وهذا ما بيّنته في كتبي التي ذكرت فيها ذلك القول وضربت أمثلة على ما يدعون أنه نسخ في القرءآن من قبيل عدد المقاتلين وصدقة النجوى والرفث ليلة الصيام ونحو ذلك، وبيّنت أن هذا من باب التشريع على درجتين، درجة قوة ودرجة ضعف، والكل خير، فمن شاء أخذ بالأقوى ومن شاء أخذ بالأضعف، وهذا ليس إبطالاً للحكم الأقوى. ونحو ذلك مما بيّنته في مواضع من كتبي.

وأما قول عيسى أُحل لكم بعض الذي حُرّم عليكم} فجوابه من جهتين:
الأولى، أنه لم ينصّ مَن الذي حرّم عليهم، لم يقل "الذي حرّمه الله عليكم"، بل قال {حُرِّم عليكم}، فقد يكون التحريم جاء من الأحبار وجهلة شيوخ الدين الذين يفتون بغير علم ويحرّمون على الناس ما أحلّه الله إما عمداً أو بسوء فهم لكتب الله، فيأتي عيسى ويبيّن الحق في ذلك. وهذا تجده مثلاً في ديننا. فالقرءان حرّم أموراً معدودة، لكن انظر في كتب الفقهاء وستجد المحرمات بلغت عند بعضهم ١٥٠٠ محرّم تقريباً. وهم والناس يحسبون أن هذه كلها محرمات بتحريم الله تعالى.
الأخرى، حرّم الله بعض الأمور لسبب، كما قال في آية الحوايا {ذلك جزيناهم ببغيهم}. فإذا جاء عيسى ورفع سبب التحريم، فقد أحلّ الأمر لهم من باب أن الحكم يدور مدار علّته.

وأما عن كيف قال عيسى {أُحلّ لكم} ونسب التحليل لنفسه بدلاً من نسبته لله تعالى. فهذا في باب التشريع مثل قول عيسى في باب التكوين {أخلُق لكم} و {أحيي الموتى} و {أُبرئ الأكمه}. والخالق والمحيي والبارئ هو الله تعالى. فنسبة عيسى لنفسه الخلق والإحياء والإبراء مثل أو أعظم من نسبة التحليل والتحريم. لكن في الحالتين، الرسول تجلي أسماء الله، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}. فحكم الرسول هو حكم الله {ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله}. والمسيح عيسى بن مريم هو رسول الله وكلمته وروح منه.

وأما ما الذي كان محرماً عليهم ثم جاء عيسى بتحليله لهم، فهذا ما لا أعرف له تفصيلاً في كتاب الله، فهو من قبيل عدد ألواح سفينة نوح. وإما يوجد تفصيل، لكن لا أدري ما هو، فإن جاءني شيء فيه إن شاء الله سأرسله لك. والحمد لله.

...

هَبَّت العاصفة على الأرجاس
وجاء الموت من كل مكان
يوم شديد عظيم الباس
لقوم اعتادوا على الطغيان

صدق الحبيب عبد الرب
نبي الهدى رسول الحرب
قال الأمين ويل للعرب
من شر قد حقاً اقترب

نار آكلة ومطر من نار
يهتك الله به الأستار
ويقصم به كل جبّار
ثم بعده عصر أنوار

عصر أنوار وعهد أحرار
حين يُمحى اسم طغاة العرب
يوم تُشفى صدور الأبرار
ويزول عن الأمة داء الجَرَب

يوم كيوم بني أمية
مع ثّوار بني العبّاس
يوم تزول الدول الدنية
وتُكرَم نفوس بقية الناس.

صرختهم حينها فيها ذِكر

دعوتهم يومها ما لها ستر
يقولون بصدق يا رب سَقَر
ألا لا تُبقي منهم ولا تذر

في كل شارع سيلٌ عَرِم
من كل صغير وشيخ هَرِم

لا يبقى قصر إلا وانتُهِب
لا يتركون فيها عَلَمٌ مُنتَصِب
كل جندي لطاغية قد هَرَب
وكل فرد منهم مرتَعِب

جاء الحق وقُضي الأمر
يا بؤس الشقي وفرحة المؤمنين
فقد ظهر الفساد في البر والبحر
ولتعلمنَّ نبأه بعد حين

...

قال: ماني عارف ابدأ من فين ،، بس كل ما مشيت في الطريق و بدأت اشوف النور و الفتوح ارجع تاني اخرج عن الطريق و يبدأ التخبط و الخوف و القلق. ليش الواحد رغم انه يشوف و يحس التغيير يرجع لعاداته الوحشة تاني ؟

قلت: حافظ على الصلاة القرآنية، واذكر الله كثيراً.

...

قالت: حابه اتاكد منك هل اسماء الله المحيي المميت والخافض والرافع والنافع والضار المبدئ والباعث هل هذه من اسماء الله الحسنى؟؟ صار لبس عندي بهذا الموضوع وانا ابحث في اسماء الله الحسنى وظهرلي فديوات يقولون ان هذه الاسماء ليست من اسماء الله الحسنى.

قلت: لماذا ليس من أسماء الله؟

قالت: مثلا الضار او المذل يقولون كيف تكون من اسماء الله الحسنى وهي صفات ومعناها لاينتمي لاسماء اله الحسنى. (وأرسلت لي منشوراً فيه المعنى الذي أخذت منه هذا).

قلت: ١-الذين قالوا أنها أسماء، اعتبروا أن الاسم ذات مع صفة. بما أنه لا توجد صفة بدون ذات، فلابد أن ترجع الصفة إلى الذات. فإذا اجتمعت الصفة مع الذات كان الاسم. فلما قرأوا مثلاً "يهدي مَن يشاء" و "يضل مَن يشاء". رأوا أن الهداية مثل الإضلال، فعل إلهي. الفعل تابع للصفة، والصفة تابعة للذات، فصحّ اشتقاق اسم بهذا الاعتبار، فيكون الله هو الهادي وهو المُضلّ.

٢-في القرءان أسماء مثل "خير الماكرين"، و "عزيز ذو انتقام". فلا حجة للذين يرون بعض أسماء القهر ويقولون بأنها لا تناسب أسماء الله الحسنى. بل حتى اسم "الرحمن" هو اسم ترجع له مظاهر كونية مثل العذاب كما قال إبراهيم "إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً".

٣-كذلك مثلاً فعل الإعزاز والإضلال يرجع إلى اسم إلهي في القرءان، مثل ملك الملك أو مالك الملك. لقوله "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير".

٤-لكن لابد من تذكر أمر جوهري.وهو أن الإمداد بحسب الاستمداد. يعني ماذا؟ يعني: كل ما يحدث للإنسان، إما أن يكون من رحمة سابقة من الله بغير عمل خاص، وإما أن يكون بسبب عمل خاص من الإنسان. كل الشرور التي تحدث للإنسان، الشرور الحقيقية، هي بسبب استمداد الإنسان هذه الآثار بوسيلة عمله. لذلك مثلاً تقرأين "والذين كذبوا بآياتنا صُم وبكم في الظلمات، مَن يشأ الله يضلله ومَن يشأ يجعله على صراط مستقيم". فالإضلال تابع للمشيئة، لكن المشيئة حكمت بسبب تكذيبه بآيات الله، وتكذيبه فعله هو. فمشيئة الله قابلة للإضلال وللهداية على السواء، فما الذي يجعلها تتجه لإضلال فلان وهداية علان؟ المشيئة نفسها متساوية القدرة في الجهتين. فما الذي رجّح جهة على أخرى بحق فلان ورجّح الجهة الأخرى بحق علان؟ الجواب: فلان وعلان أنفسهم. الذي كذّب بآيات الله، يضله. الذي آمن بآيات الله، يجعله على صراط مستقيم. لذلك قال "ما أصابك من سيئة فمن نفسك". لاحظي الفرق بين "كُلُ من عند الله" أي الحسنة والسيئة، وبين "فمن نفسك". فالكل من عند الله وليس من الله. المشيئة تعبّر عن ما عند الله، لكن عمل الإنسان هو الذي يجعله يستقبل الأمر الإلهي بنحو خاص. النعمة والحسنة من عند الله ومن الله، لكن العقوبة والسيئة من عند الله ومن الإنسان. أما النعمة والحسنة فهي من الله لأنها وجود ونور ولطف ورحمة وهذه كلها أصولها أسماء حسنى وراجعة إلى حقيقة ذات الله تعالى. لكن العذاب والشر والضيق والألم ونحو ذلك

أمور لا تناسب ذات الله فإن الله لا يعاني من هذه الأمور. فالنعمة تجعل النفس تتمثّل ذات الله بحسب درجة النفس طبعاً، كالعلم فإن الله عليم والحياة فالله حي والسمع فالله سميع، فلذلك هي من عنده ومنه أيضاً. لكن العذاب يجعل النفس مضادة للكمال الإلهي بهذا المعنى، فلذلك ليست من الله. كقوله "من تبعني فإنه منّي". إذن، الشر من المشيئة الإلهية التي أمدّت النفس المختارة للشر بالشر.

٥-ملحوظة أخرى: اسم مثل الخافض والمذل، لا يدل بذاته على معاني سلبية بالضرورة. فمثلاً، الخفض قد يكون أمراً ايجابياً. مثال بسيط جداً، حرارة إنسان مرتفعة، فيريد خفضها، فالخافض هنا أمر حسن. كذلك مثلاً، إنسان متكبر وتكبره سيوصله لجهنم فيخفضه الله ويذله بأمر فيكون في ذلك نعيمه وخلاصه. ومن هنا مثلاً قول سليمان لملوك سبأ "لنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون" فهذا الإخراج رحمة بالمقهورين في سبأ وذكرى نافعة للقاهرين منهم. كذلك المذل، فقد وصف الله المؤمنين بأنهم "أذلة على المؤمنين". وقال في الإحسان للوالدين "اخفض لهما جناح الذل من الرحمة". فصار الخفض والذل من الإحسان، بالتالي الخافض والمذل الذي يسبب ذلك في النفس ويعطي النفس التوسل به لتحصيل هذا الإحسان اسم حسن. كذلك الضار، فإن الشفاء مثلاً يقع حين يضر الله سبب المرض فيتشافى المريض. مثلاً، خلايا سرطانية، قتل هذه الخلايا هو مقدمة الشفاء، بالنسبة للخلايا هو ضرر لكن بالنسبة للمريض هو نفع، فالمريض يتوسل باسم الضار على سبب مرضه.

٦-لا يوجد نص في القرءان يقول بأن كل الأسماء الحسنى محصورة في القرءان. بل إذا كان الله قال عن الرسل "منهم مَن لم نقصص عليك"، فإذا كان الرسل لا يمكن حصرهم في كتاب واحد، فكيف يظن ظان بأنه يمكن حصر أسماء الله في كتاب واحد. في القرءان بحسب النص تقريباً ١٥٠ اسماً حسب إحصاء البعض. وفيها كفاية، ومن عرفها فتح الله له ما وراءها إن شاء. فأرى الأسلم اعتبار ما ورد في القرءان هو الاسم، وما سوى ذلك فعل تابع للمشيئة فمن جعله اسماً بالاعتبار الذي ذكرناه سابقاً فليكن بباله أنه اسم مشتق وليساً اسماً بتعريف الحق. إلا أنه لا داعي لهذه الجلبة عن كونها ليست أسماء لله، وحججهم لا معنى لها، ومجرد إرادة مناقضة ما عليه أهل الإسلام عموماً نوع رعونة وليس معرفة ولا معونة لمن يريد دعاء الله وذكره بأسمائه.

٧-يبقى سؤال: إذا كان الشر بسبب المشيئة الإلهية، والمشيئة بسبب عمل النفس الإنسانية، فمن أين جاء الشر للنفس الإنسانية؟ الجواب من جهتين: الأولى، الحرية. الله جعل للنفس مشيئة قابلة للعمل وضده، ولذلك قال مثلاً "مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر". ومشيئة النفس من مشيئة الله، كما أن علم النفس من علم الله، وقوة النفس من قوة الله. فكل صفة

للنفس هي من سِمة لله. الجهة الأخرى، العلم. يعني في علم الله توجد ذوات كل شيء ممكن على الإطلاق. كل ممكن له ذات وصفات ثابتة له أزلاً وأبداً. أراد الله خلق بعض هذه الأشياء، وهو هذا العالَم بكل ما فيه، فظهرت الأشياء بالتدريج وهي تسعى لتحقيق كمالها الذاتي الصفاتي الذي هو لها في العلم الإلهي. فكل مخلوق مجذوب لعينه الثابتة وذاته الأزلية في العلم الإلهي، شعر أم لم يشعر. مشيئة الله تابعة لعلمه، وعلمه فيه كل ممكن، والممكن هو على ما هو عليه ليس لأن الله جعله كذلك فعلم الله غير حادث وطارئ على الله بل هو هو. فيشبه الأمر سلسلة الأعداد، فكل عدد ممكن له رتبة وقيمة في السلسلة لأنه كذلك وليس بفعل فاعل، فالخمسة خمسة وقبل الستة وبعد الأربعة بنفس ذاتها وتكوينها ولا يمكن غير ذلك، وليس لأن الله شاء أن يجعل الخمسة خمسة. كذلك كل ممكن له خصائصه أزلاً. فالله خلق من المشيئة، والمشيئة تأخذ من العلم، والعلم فيه الممكن المعلوم، والمعلوم هو بذاته لذاته على ما هو عليه. بالتالي الله لا يخلق الشيء إلا بحسب ما يستحقه هذا الشيء بحسب ذاته الأزلية في العلم الإلهي. "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق" والحمد لله رب العالمين.

...

قال: ما هو الكرسي وما هو العرش وهل هناك فرق بينهم؟

قلت: هناك فرق، بدليل اختلاف الاسم واختلاف استعمال كل كلمة في القرءان. العرش هو الروح. قال القرءان "رفيع الدرجات ذو العرش يُلقي الروح من أمره". ولذلك جاء في أسماء العرش: العظيم والمجيد والكريم. كما جاء في القرءان الذي هو "روحاً من أمرنا" أيضاً أسماء: العظيم والمجيد والكريم. فالعرش عالَم الروح. والله تعالى "رب العرش". كما أنه رب السماء ورب الأرض ورب العزّة. الكرسي هو القلب. لقوله "وسع كرسيه السماوات والأرض". فالقلب يسع سماء النفس وأرض الجسم. لذلك قيل أن الكرسي "موضع القدمين"، لأن الروح الواحد حين ينزل على القلب ينقسم إلى نفس وحس، فيكون للكلمة جانب سماوي وجانب أرضي، أو جانب عقلي وجانب إرادي. ومن هنا تجد في هذا القرءان المُنزَل العلم والحُكم. وكذلك له جانب معنوي وهو معانيه وأمثاله وجانب طبيعي هو صوته وصورته. "نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين". فالروح نزل بالقرءان الذي هو روح من الروح، على القلب، فانقسم ما يصدر منه إلى إنذار وتبشير، وكذلك صار أمثالاً ولساناً.

كل ما في ذاتك موجود في العوالم الخارجية. فأنت تملك جسماً من عالَم الجسم الأرضي، ونفساً من عالَم النفس السماوي، وروحاً من عالَم الروح العرشي، وصفاتاً من الأسماء

الحسنى لأنك خليفة ولك حظ من نور النبي. فإذا استغلق عليك معنى من العوالم، فارجع لذاتك واقرأ كتاب وجودك لتعرف بإذن الله الأمر واسأل الله من فضله فلا يُعلِّم غيره والعلم كله عنده. من هنا تجده يقول "أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم كافرون". فجعل باب معرفة العوالم ولقاء الله هو التفكر في نفسك. ففي نفسك كل ما فرّقه الله في العوالم والأمور.

...

قال: ما رأيك بمن يقول أننا يجب أن نتمسك بفهم الصحابة والقرون الثلاث الأولى للقرآن الكريم؟ أليس هذا ينفي وجهات النظر ودرجات الفهم الأخرى العديدة ودرجات الحق الأخرى؟ وهل يعنون أن أعلى درجة في الحق هي فهم الصحابة والقرون الثلاث الأولى؟ هذه قاعدة عند السلفية وللأمانه لم اقتنع بها فبحسب القرآن أيضا هناك راسخون في العلم لايعلم غيرهم تأويل بعض الايات.

قلت:

الذي يقول بأنه لا يمكن فهم القرءان إلا عبر فهم السلف أيا كانوا، هم مثل الذي يقول بأن الله لا يرزق الناس في الطبيعة اليوم لكن لابد عليهم أن يأكلوا ما رزق به السابقين فقط. فهذا فيه طعن في رزق الله الحي القيوم وهدايته وفتوحاته المستمرة.

ثم القرءان نفسه قال {لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي} وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله أن القرءان "لا تنفد عجائبه". وروي حتى عن بعض الصحابة بأن الله يمدّ بالفهم في القرءان عباده باستمرار. وروي عن بعض العلماء أن درجات الفهم في القرءان ما لا يحصيه إلا الله. فالعطاء في فهم القرءان مستمر، لا ينقطع إلا بسبب ظلمة قلوب الناس، وليس بسبب قبض الله يده عن العطاء والعياذ بالله. {بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء}.

لكن في المقابل، الذي يدّعي بأنه يجب على الناس في كل زمان أن ينسفوا كل ما مضى ولا يبالوا بالأولين ومَن سبقهم بالإيمان، فهؤلاء أيضاً يخالفون القرءان نفسه. فقد قال الله {واذكر عبدنا داود} وقال {واذكر في الكتاب مريم}، فمن ذكر الله ذكر عباده الصالحين، وما مرّوا به وما قالوه وما فعلوه وما عقلوه. وكذلك قال أن من دعاء التابعين قولهم {اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان}. وأمر بتحسين الظن بالمؤمنين والمؤمنات، وإثبات الولاية لهم. وقال الله في بعض الأحكام {كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} وقال {ليهديكم سنن الذين من قبلكم}، فلو كان مَن قبلنا لا قيمة له فلا معنى لهذه الأقوال والعياذ بالله.

إذن والذين يحصرون العلم في السلف، مثل الذين ينسفون علم السلف، كلاهما مخطئ ولا حجّة له في كتاب الله.

الحق هو أنه يجب تقديم كتاب الله على كل كلام وفهم، سواء كان من الأولين أو من الآخرين. فمَن جاء بأمر وبيان لكتاب الله، وجاء بالبرهان على ذلك، فهذا على العين والرأس. ومَن جاء بما يخالف كتاب الله، أو ادعى أن ما معه يوافق كتاب الله لكن لم يأتِ ببيّنة وتفصيل، فهذا إما نتوقّف فيه فلا نحكم عليه بشيء وإما نردّه على صاحبه.

توجد ثلاث معايير أساسية يمكن الحكم فيها على الروايات، بغض النظر عن أصحاب الرواية ورجال السند. أنا شخصياً لا أميّز بين مسلم ومسلم في هذا الباب، المسلمون عندي أمّة واحدة، ولا أميّز بين روايات السنة أو الشيعة أو الإباضية، ولا بين تراث الفرق والطوائف المختلفة. عندي الأمّة كلها واحدة. ومبدئياً أقبل كل ما صدر من المؤمنين والمؤمنات، حتى يثبت العكس. وأعرض كل شيء على كتاب الله، فما عرفته من كتاب الله اتبعته، وما لم أعرفه توقّفت فيه وسألت الله أن يبيّنه لي وصبرت ونظرت في أقوال أهله لأتعلّم، وما تبيّن لي مخالفته لكتاب الله وحجّة العقل الشهودي (الذي يشهد الوجود وليس العقل النظري البحت والسطحي) بيّنت فيه سبب ردّي له وحجّتي فمن جاء بما هو أعقل وأهدى استعنت بالله وقبلت كلامه وإلا فأنا غير مسؤول عن غير ما أعلم وما أفهم وما تبيّن لي.

المعيار الأول، هو الخصومة. الثاني، هو الحكومة. الثالث، هو الرعونة. (بالمناسبة: هذه الثلاثة فتحها الله لي من قراءتي الآيات ٢٠٤ إلى ٢٠٥ من سورة البقرة إن أحببت أن تراجعها).

أما الخصومة: فأنظر في الرواية وهل تخاصم وتعارض كتاب الله أمر لا، وهل توجد عليها بيّنة من كتاب الله، وهل تتعارض مع مقاصد القرءان البيّنة وأصوله الكبرى الواضحة، وهل تناقض حكماً تفصيلاً من الأوامر الإلهية الصريحة؟

وأما الحكومة: فأنظر في أصحاب الرواية حين طبّقوها في الماضي أو في الحاضر كيف كانت آثارها على الأمّة وآثارها في الناس من حيث نفوسهم ومن حيث معاشهم، هل هي مما يصلح الناس أو مما يفسدهم؟ هي تُصلح في الأرض أم تفسدها؟

وأما الرعونة: فأنظر في الرواية هل مضمونها قابل للإصلاح بحسب الأوامر الإلهية ولوازم التقوى والخير؟ هل أصحاب الرواية ومنطقهم الفكري ونمطهم الأخلاقي قابل للتعديل

والتحسين أم هو جمود مطلق؟ هل الرواية تجعل صاحبها صاحب عقل يقظ يقيّم ويراجع نفسه وأعمالها وآثاره ويقبل التعديل المعقول أم لا؟

فإذا تبيّن لي أن الرواية فيها خصومة لكتاب الله، وآثارها حين حكمت وطُبِّقَت أفسدت في الناس والأرض، وأصحابها ذوي رعونة وغايتهم التعزز والتفاخر والاستعلاء على الخلق، أو بعض هذه الآثار، فعندي هذه من المطاعن في الرواية والملل المبنية على الرواية.

من زاوية أخرى، فكرة "فهم الصحابة" للقرءان هذه مبهمة وذات خلل كبير. لأن الروايات عن النبي فضلاً عن الصحابة في التفسير المباشر للقرءان، هي إما لا أصل لها وإما نادرة وإما تتعاطى مع جوانب معينة فقط من الآية الواحدة أو الآيات، هذا إن كانت صحيحة أو حسنة مقبولة. فماذا تفعل بباقي القرءان؟

وكذلك لأن الرواية أحياناً تكون وإن صحّت سنداً مخالفة للمعلوم من القرءان بدراسته ومقارنة آياته ببعضها وفهمه بشكل متكامل يجمع بين الآيات والمفاهيم ويرتّب بينها ترتيباً معقولاً. فلدينا القرءان وهو الثابت قطعاً ويقيناً وحرفياً، ولدينا الرواية التي فيها أكثر من ثمانين علّة ومشكلة ومع كل ما فيها من مشاكل فإنها لا تتناول القرءان كله. فلا يمكن لعاقل يتقي الله ويخافه أن يقدّم دراسة الروايات على دراسة الآيات، أو أن يجعل نتائج دراسة الروايات أولى من نتائج دراسة الآيات. فالواجب ليس فهم القرءان بحسب روايات السلف أيا كان تعريف السلف وتشخيصهم، بل الواجب فهم روايات السلف في ضوء فهمنا القرءان.

مشكلة أخرى، أن "الصحابة" كانوا أكثر من مائة ألف بكثير ممن أسلم ورأى النبي. وعدد مَن روى منهم عن النبي لا يزيد على ألفين صحابي، وإن كانت معظم الروايات وخصوصاً الروايات التي شكّلت المفاهيم الدينية والعملية الشائعة لا يزيدون على المئات. فالادعاء بأن "الصحابة" قالوا كذا أو كذا وكأنهم شكّلوا مجمعاً علمياً وأفتوا فتاوى وأصدروا بيانات ذات صبغة واحدة موحدة، فيكون لدينا "فهم الصحابة" في طرف، وفهم المسلمين بعدهم في طرف آخر، هو وهم عميق. بل وقع الاختلاف حتى بين هؤلاء في أمور. فكذلك نقول هنا. الحق أنه يجب فهم ما نُقل عن الصحابة في ضوء القرءان، وليس فهم القرءان بالتقيّد بما ورد عن الصحابة. فلو كان حقاً فستكون له حجّته القرآنية، وإن لم يكن حقاً فلا داعي لقبوله بل يجب ردّه.

يمكن التفصيل أكثر في هذه المسألة، وإذا قرأت كتبي ستجد فيها إن شاء الله تفصيلاً أكثر.

لكن أضرب لك مثالاً واحداً من باب الشريعة ومثالاً من باب العقيدة لتقريب الفكرة إن شاء الله.

فمن باب الشريعة: صلاة الخوف. ثلاث آيات من القرءان عن ما يُعرف بصلاة الخوف وهن من سورة النساء ١٠١-١٠٣. وصف صلاة الخوف ذاتها في القرءان هكذا {وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتَقُمْ طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفة أخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا أسلحتهم} وبعد ذلك فصّل لهم سبب هذه الأحكام وفصّل لهم في حكم حمل السلاح، فأما سبب الأمر بحمل السلاح في الصلاة فهو {ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة} ثم فصّل تخفيفاً في حمل السلاح في الصلاة فقال {ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذو حذركم} ثم بيّن مصير الذين وضعوا المؤمنين في هذه الحالة الحرجة فقال {إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً}. وهكذا في الآية التي قبل هذه وبعدها فصّل أموراً تتعلّق بهذه الحالة من خوف الفتنة التي هي القتل والنهب على يد العدو الكافر الحاضر. الآن، إذا قرأتها قرآنياً فقط تجد الآية مفصّلة، حتى أنه فصّل في حمل السلاح في الصلاة وبيّن سبب الحكم أو مقصده وبيّن رخصة في عدم حمله وفصّل الحالات وهكذا. فأين الإشكال؟

الإشكال يبدأ بسبب فهم الآيات في ضوء الروايات عموماً وتأسيساً. يعني حين يكون أساس فهمك للقرءان مبنياً على الروايات، فإن الأمور تُمسي أعقد بل مُعضلة. وأوّل ما أشكل عليهم هو فهمهم لمعنى الصلاة. فلمّا كانت الصلاة في مفهوم المذاهب هي هذه الحركات الجسمانية المعروفة ذات الكمّية والكيفية الظاهرية، حجبهم ومنعهم هذا الاعتقاد من القدرة على فهم الآية. وصار كلامهم عن الآية ومذاهبهم فيها أولاً مختلفة اختلافاً كثيراً متعارضاً متضارباً لا يمكن الجمع بينه كله في وقت واحد، {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}. ثم صارت تفصيلاتهم لوصف صلاة الخوف دالة باللزوم الضروري على الطعن في وصف الله تعالى لها في كتابه، يعني صارت الآية كأنها غير موجودة أو كأنها غير مبينة، وصارت في حكم العدم والإعدام والباطل.

انظر ما الذي يقوله ابن رشد مثلاً في الباب الخامس من الجملة الثالثة من كتاب الصلاة في كتابه في الفقه المقارن "بداية المجتهد" وهو كتاب مخصص للمذاهب الفقهية السنية المشهورة. كتب ابن رشد {وأما صفة صلاة الخوف: فإن العلماء اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً

لاختلاف الآثار في هذا الباب أعني المنقولة من فعله صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف، والمشهور من ذلك سبع صفات}.

أقول: تأمل أنه يقول {العلماء} هم الذين {اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً}، يعني هذا الاختلاف ليس بسبب الجهلاء، بسبب عدم التخصص في الفقه، بسبب عدم الوعي بالأدلة الشرعية ودراسة أصول الفقه واللغة وما أشبه من أعذار يذكرها عادةً كثير من المشايخ في هذا الزمان حين يجدون شخصاً "غير متخصص" في الدين يتكلّم في الدين، فيوهمون الناس أنه إذا رجعنا إلى مصادرهم سنجدهم على هيئة واحدة وفهم واحد أو حتى قريب من الواحد في فهم أمور نصّ عليها القرءان وفصّلها بل فصّل في حكمتها ومقصدها وأصلها وفرعها بل وعاقبتها الأبدية.

ثم تأمل تعليل ابن رشد لهذا الاختلاف الكثير، يقول أنه بسبب {اختلاف الآثار} يعني الروايات عن بعض الصحابة الذين حكوا فعل النبي أو مَن روى عن هؤلاء الصحابة. إذن المشكلة ليست بسبب الآيات، بل المشكلة بسبب الروايات. نعم، قد يختلف العلماء في فهم الآيات القرآنية، لكن بحسب اطلاعي إلى الآن لم أجد اختلافاً في فهم القرءان إلا وهو احتمالات صحيحة في فهمه بالتالي هي من القرءان ويمكن الجمع بينها بشرط أن لا يكون القارئ قد جاء بأمر من خارج القرءان وفرضه عليه كمذهب فقهي أو عقدي أو رغبة أو رهبة ونحو ذلك من مؤثرات خارجية. فلا نجد هذا النمط من الاختلاف الكثير المتضاد كما نجده بسبب {اختلاف الآثار} كما في هذه المسألة حين يكون القرءان مبيناً لأمر ما. نعم، قد يوجد اختلاف بسبب الجهلاء، لكن لن تجد {العلماء} يختلفون في القرءان اختلافاً كثيراً، خلافاً للروايات فإن {العلماء} بها تحديداً هم الذين يختلفون في كتاب الله وفي الأمور الأخرى أيضاً عادةً.

كم صفة من صفات صلاة الخوف عند أهل الروايات؟ يقول ابن رشد {المشهور من ذلك سبع صفات}. هذا ليس كل الصفات، بل هذا فقط {المشهور} منها ! دقق في هذا. يعني القرءان بيّن أمراً وهو النور المبين من رب العالمين، بيّن أمراً وفي وقت الخوف وهو وقت بيان وتفصيل كما نجد الآية ذاتها تفصّل أبعاد ذلك المختلفة، ولا توجد في الروايات التي نقلها ابن رشد أن أحداً حكى "قولاً" للنبي يشرح فيه للصحابة هذه الصفات المعقدة بل كلهم حكى صفات {فعله صلى الله عليه وسلم} كما زعموا. لكن حين تقرأ هذه الصفات السبعة، تجد أنها ليست مثل الآية القرآنية، وبينها تضاد واختلاف كثير، ولا يمكن أن يكون النبي والصحابة قد قاموا بها إلا إذا شرحها النبي لهم أولاً بالقول حتى يعرفوا ما الذي عليهم القيام به، كأن يقول لهم "سأقرأ ثم أفعل كذا ثم إذا قمت بعد ركعة فاذهبوا واحرسوا ولتأت الطائفة الحارسة

ولتصلي معي ركعة ثم لتفعل كذا وكذا" وهكذا إلى آخر التفاصيل حسب الصفة المذكورة في الرواية. لكن الروايات لا تحكي قولاً للنبي يبيّن لهم ذلك، وفيها-وهذا بديهي-أن آية الخوف نزلت حتى يعملوا بها في وقت الخوف ذاك، فنعلم أن النبي قرأ الآية وبلّغها الناس حسب الأمر الإلهي والعادة، لكن لا نرى أنه بيّن قولاً، فهذه الروايات حكت فعلاً، إلا أننا نعلم استحالة تطبيق هذا الفعل بدون بيان قولي من باب التجربة والبداهة.

فكيف عالجوا الاختلاف الكثير بين صفات هذه الصلاة؟ هل ردّوه إلى القرءان؟ كلا، القرءان لا قيمة له في هذا الباب ولأهل هذه العقليات. انتهى بهم الأمر إلى ما ذكره ابن رشد، وهو إما {أن هذه الصفات كلها جائزة وأن للمكلّف أن يصلي أيتها أحب} وهذا ليس رأي الكل بل حكاه كرأي لـ{قوم} فقط وأما المذاهب المشهورة فإن كل واحد منها اختار رواية بعينها وعمل بها، ولا يخفى أن مثل هذا الحلّ هو هروب من الحل لأنه لا يمكن أن يكون ما دلّ عليه كتاب الله الذي فصّل هذه المسألة هو كل تلك الصفات المتناقضة. لذلك حكى طريقة أخرى للتلفيق بين هذه الصفات المتعارضة والواردة في أحاديث صحيحة ومعتبرة في الجملة ولها شواهد كما قال محقق الكتاب وذكر مصادرها وهي كثيرة مشهورة، والطريقة الأخرى هي {قيل: إن هذا الاختلاف إنما كان بحسب اختلاف المواطن} ففضلاً عن صيغة التمريض والتضعيف {قيل} التي صدّر بها ابن رشد عبارته، فإن الآية لم تذكر صفات مختلفة لاحتمالات مختلفة، فضلاً عن عدم قول أحد من أصحاب الروايات أن هذه الصفة إنما كانت في موطن كذا دون موطن كذا، ولو صحّ هذا الرأي لكان الآخذ بصفة واحدة منها مخطئاً.

الآن، هذه جولة سريعة في مسألة واحدة، ولم نذكر الصفات السبعة المشهورة ولا غير المشهورة التي لا نعلم عدّتها. المهم لماذا كل هذا اللغط؟ هل هو بسبب فهم الآيات؟ كلا، بل هو بسبب اختلاف الروايات. وهي روايات عن فعل النبي، بالتالي هي عن صحابة وإن كانوا قلّة، ولا ندري كيف لم يُحفَظ-إن صدقت هذه الروايات-أمر شديد الأهمّية ويصدم الوعي مثل صلاة في وقت الفتنة المخيفة ووقت القتال مثل هذه، وكيف لم يذكرها إلا هذا العدد القليل، وأهمّ المهمات كيف نزلت آية مبهمة حسب قولهم ومفصّلة حسب القراءة وكيف جاءت تفصّل في الحكم والرخص والعواقب لكنها تركت تفصيل صفة صلاة الخوف ذاتها التي هي محور الكلام كله ! هذا طعن صريح في القرءان وبيان الله، بسبب الروايات وليس بسبب الآيات ذاتها. فهذا مثال على أن فهم الآيات في ضوء الروايات يجعل الآيات مظلمة والروايات متضاربة أو صعبة مشكلة ويجعل الدين عموماً ظنّياً بل مشكوكاً فيه مطعوناً فيه مسبباً للاختلاف والاختلاف الكثير ومبنياً على قول فلان وقول علان بدلاً من قول الله تعالى. وقول فلان وعلان هنا ليس قولاً

يحاول شرح قول الله تعالى، بل هو قول منفصل مستقل عنه ويأتي بدين موازي له وإن نُسب إليه بشيء من النسبة من بعض النواحي لكنه في المحصّلة يأتي بما هو مغاير له.

أما في باب العقيدة: عقيدة القَدَر. إذا قرأنا القرءان وحده، قراءة متكاملة ورؤية الآيات كلها كشيء واحد يصدّق بعضه بعضاً ويكمّل بعضه بعضاً، فالواجب الخروج بنتيجة واحدة لرؤية شاملة. فماذا فعل بعض الصحابة بحسب الرواية وفي زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً؟

في الباب ١٩ من كتاب الإيمان بالقدر من الأصول التسعة الذي جمعه صالح الشامي، توجد هذه الروايات {عن أبي هريره قال "خرج علينا رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القَدَر فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كأنما فُقئ في وجنتيه الرمّان فقال [أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم، ألا تتنازعوا فيه]}. أقول: هذه الرواية عن أبي هريرة. لكن لاحظ الفرق المهم بينها وبين كيفية حكاية عبدالله بن عمرو لها. قال عبدالله {خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القَدَر فكأنما يُفقأ في وجهه حبّ الرمّان من الغضب فقال "بهذا أُمرتم، أو لهذا خُلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم". قال عبدالله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلّفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلّفي عنه.} وفي رواية أخرى عنه قال {إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم} ثم قال عن النبي "مهلاً يا قوم، بهذا أُهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكُتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يُكذّب بعضه بعضا، بل يُصدِّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فرُدُّوه إلى عالِمِه".

أقول: لاحظ مبدئياً أن أبا هريرة لم يذكر القرءان، لا في أول كلامه ولا في ما نقله عن النبي، فقد قال {نحن نتنازع في القدر} ولم يذكر محلّ التنازع، يعني هل كانوا يجلسون يدرسون القرءان وتنازعوا في القدر، أم كان مجرّد آراء شخصية في القدر هكذا في الهواء الطلق للفكر؟ لم يحدد ذلك. ثم لم يذكر المبدأ العظيم الذي بيّنه النبي في الرواية، وهو أن سبب التنازع إنما هو لأنهم كانوا يضربون بعض القرآن ببعض ويجعل بعض القرآن يكذّب بعضاً، فدلّهم على الحق وهو أن القرآن يصدّق بعضه بعضاً، أبو هريرة أيضاً لم يذكر هذا بل جعل نهي النبي وعظي بحت لا إرجاع فيه لأساس علمي كما ذكرته رواية عبد الله. فهذا ونحوه تعرفه حين تنظر في أمر أبي هريرة خصوصاً. لكن لا نريد أن ندخل في كيفية صرف الناس عن القرءان في ذلك العهد، وإرادة إنشاء دين جديد مبني على روايات عن بعض مَن عاش في

زمن النبي وتقريب الملوك لهم بعد ذلك وإغداق الأموال عليهم حتى يخترعوا لهم ما يشتهون من روايات ودين موازي لدين كتاب الله. إلا أنها نقطة جيدة للتأمل فيها.

إذا رجعنا إلى الروايتين معاً، سنجد التالي:

الصحابة، وفي رواية عبد الله {أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه}، يعني هؤلاء ليسوا أيّ صحابة بل هم {مشيخة} منهم. حسناً.

حين جلسوا {عند باب} من أبواب النبي، وهذا يعني أنهم كانوا في المسجد لأن أبواب النبي كانت مشرعة جهة المسجد، وكذلك اجتماعهم للتذاكر يشير إلى ذلك، مما يعني أنهم كانوا في بيت من بيوت الله، وعند باب نبي الله الذي ينبغي غضّ الصوت عنده.

{ذكروا آية من القرآن} تتعلّق بموضوع {القدر}. فكيف تعاملوا مع هذه الآية؟ في رواية {نتنازع} وفي ثانية {يختصمون} وفي ثالثة {فتماروا فيها}. وهل كان هذا بهدوء؟ كلا، بل {ارتفعت أصواتهم} حتى أدّى ذلك إلى خروج رسول الله {مغضباً} عليه الصلاة والسلام.

ما أصل الإشكال؟ هل فهمت مشيخة الصحابة هذه القرءان كما يزعم المتمسلفة على وجهه وفوراً لأنهم أعلم الناس بالعربية والأنقى قلوباً والأزكى كذا وما أشبه من عبارات السلفية؟ كلا، بل ولا حتى الكلام بهدوء استطاعوا القيام به وعند باب رسول الله. ثم زادوا على ذلك بأن جعلوا القرءآن يضرب بعضه بعضاً ويكذّب بعضه بعضاً. فخرج الرسول وبيّن لهم. وهذا بالضبط ما نجده كثيراً في المذاهب المعتمدة على الروايات عن بعضهم. يعني نوع من عدم فهم القرءان واللامبالاة به أصلاً، واختراع أمور ليس في الكتاب، وفعل أمور لم يدلّ عليها الكتاب بل دل على خلافها، وهلمّ جراً. حتى إن لم نبلغ هذا القول في قيمة فهم الصحابة من حيث المبدأ للقرءان، فإن الواجب هو عدم تحكيم فهمهم فضلاً عن مروياتهم في القرءآن تحكيماً مطلقاً، فالنبي كان في عصرهم يعدّل لهم ويعظهم ويخرج عليهم غضباً كأنه {يُفقأ في وجهه حبّ الرمان من الغضب}، لكن بعد النبي وبعد ما فُتحت عليهم الدنيا وتنافس منهم مَن تنافس فيها وحدث ما حدث من أمر الملك والسياسة، فلم يعد الأمر كما كان من حيث إمكان تعديل النبي لهم حيث صار كل واحد منهم سلطة بحد ذاته في باب الدين، أو لا أقلّ أولئك الذين وضعوا أنفسهم في هذه الأماكن أو ساعدتهم السلطات السياسية حينها على تكثير مروياتهم واعتبار آرائهم. فإذا كانت مشيخة الصحابة قد تتنازع وتتخاصم وتتمارى في القرءآن وتضرب بعضه ببعض وتكذّب بعضه ببعض وترفع أصواتها عند النبي وتتسبب في غضبه غضباً شديداً، فكيف يمكن تحكيمهم في كتاب الله مطلقاً وبدون نظر وبدون عودتنا إلى كتاب الله والنظر في قيمة ما قالوه بحسب ما نجده فيه. هذا وإن أكثر المرويات أصلاً عن "

الصحابة" ليست عن {مشيخة} الصحابة، بل لعل أكثرها يرجع إلى أناس كانوا في عهد النبي من الصبيان أو الصغار أو ليسوا من المشيخة على أية حال أو من حديثي عهد بالإسلام أو من أناس مطعون في إيمانهم أو غير ذلك. إذا كانت المشيخة في عهد النبي يمكن أن تفعل هذا الفعل بالقرءان وعند باب النبي، فكيف بغير المشيخة وبعد عهد النبي.

هذا بالنسبة لمثال العقيدة. والذي يبيّن لك أن الأولى بل الواجب لمن يريد إحراز دينه وحفظ عقله وصلته بربّه هو أن لا يجعل ما يُنقل له عن بعض الصحابة سبباً لعدم دراسة القرءان، بل العكس تماماً، خذ ما يُنقَل لك واعرضه على كتاب الله أو اسأل مَن نقله لك عن أصل ذلك في كتاب الله ثم انظر. لا تقدّم كلام أحد على كتاب الله، ولا تجعله عقبة أمام نظرك المباشر في كتاب الله وتعلّمه، ولا تجعله حجاباً لا ترى إلا من ورائه فقد يضلّك عن سبيل الله وإن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب.

كملحوظة تاريخية للتأمل: بعد عهد النبي، القرءان كان بيد الكل. فمَن أراد أن يصنع لنفسه سلطة دينية منفصلة ومستقلة، أو أراد أن يضلّ الناس عن دين الله لأسبابه الدنيوية الخاصة، كلاهما كان محتاجاً إلى أمر غير كتاب الله. ومن هنا نشأ هذا الاهتمام الزائد بالروايات بحيث تصبح هي الحاكمة على القرءان بدلاً من العكس. فالرواية صارت سلطة بحد ذاتها، لأن الراوي يقول لك "عندي شيء ليس عندك"، فما عندك هو كتاب الله، لكن الراوي يريدك أن تقبل منه قولاً بناء على الثقة به فقط وبغض النظر عن حاله من كتاب الله.

هذا لا يعني أن كلام النبي والعياذ بالله ليس له قيمة، كيف وفي القرءان ذكر لأقوال أناس دون النبي قطعاً كذكر كلام فرعون وقارون وحال أبي لهب وامرأته وكيد أصحاب الفيل ومكر ثمود. الذي حدث من باب التاريخ المثبت هو أنه تم العبث في الروايات من جهات كثيرة، فبدأوا من عهد أبي بكر بعدم التفرغ المنظّم لجمع حديث النبي وشؤونه المختلفة، فكانوا على وشك فعل ذلك في عهد أبي بكر ثم تراجع وأحرقها، وفي عهد عمر ثم تراجع ومنعها. وهذا لا يعني أن الحديث النبوي لم يكن يُكتَب من قبل، بل من الثابت وجود عشرات من الصحابة كانوا يكتبونه وفي عهد النبي، وهكذا استمرّ الأمر من بعد عهد النبي عند بعضهم ممن لم يبالي لا بنهي أبي بكر ولا بنهي عمر ولا بما حدث بعد ذلك، فكانوا يحدّثون ويكتبون ويتوارثون صحفهم. لكن الجمع المنظّم لم يحدث، وقد كان ممكناً من كل وجه لكثرة الكتّاب والعلماء بالأمر حينها وتوفّر ثروات مالية هائلة بيد أعداد من الصحابة، ولم يكن الأمر بتلك الصعوبة على أية حال لمن أراده. لكن هذا لم يحدث. ثم نشأ أمر آخر بإزاء هذا وهو اختلاق أحاديث أخرى ونسبتها زوراً للنبي، إما بالكلية وإما بقطع وبتر أجزاء من الحديث والواقعة تغيّر المعنى وتخدم

غرض الراوي وغير ذلك من أساليب. فاختلط الحابل بالنابل. وكل ما نشأ بعد ذلك ولا يزال يحدث إلى اليوم في هذا الأمر راجع إلى ذلك الخلط الأول. فعدم الجمع المنظّم، ونشوء الكذب أو الغلط في المروي، أساس ذلك كله. وهذا يدعونا أكثر إلى تحكيم كتاب الله في كل المرويات، بلا استثناء.

واللطيف أنه لدينا من نفس الروايات ما يدلّ على هذا الأصل الكبير والخطير والمنير.

منها نفس رواية عبدالله في القدر التي ذكرناها سابقاً، وفيها قول النبي أن سبب هلاك الأمم هو {اختلافهم على أنبيائهم}، وهو اختلاف التنازع والتخاصم، وهو اختلاف حتمي عند من يأخذ دينه من الروايات، أو لا يقرأ القرءان ككل وبنظرة شمولية تنظر للموضوع الواحد بحسب كل ما ورد فيه وتؤلف بها بنحو يصدّق بعضه بعضاً. ثم قال النبي {فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه}، وهذا أصل مهم: وهو أنك مسؤول فقط عن ما عرفت من القرءان، وأمر النبي بالعمل به {فما عرفتم منه فاعملوا به} فنسبة المعرفة لهم، وأمرهم بالعمل بما عرفوا. وأما ما لم يتبيّن لنا فنردّه {إلى عالمه} أي إما نردّه إلى الله تعالى، وإما نبحث عن مَن هو أعلم منّا من أهل الذكر فنسأله ليبيّن لنا الأمر من القرءان وليس من خارجه وغيره فيبيّن لنا ما أشكل علينا. لكن على أية حال، الهداية والفلاح هي كما قال الله تكون باتباع الرسول واتباع النور الذي أُنزل معه، فالرسول الآن في عالَم الغيب، لكن النور الذي أُنزل معه في عالَم الشهادة، كما أن الأمر بدأ بأن كان القرءآن في عالَم الغيب والرسول في عالم الشهادة فلما اكتمل نزول القرءان وعارض جبريل عليه السلام النبي في آخر عام مرّتين فرأى النبي أنه سيموت بذلك، انتقل النبي إلى عالَم الغيب والقرءان هو حبل الله في الأرض، فمن كان من أهل اتباع النبي غيباً والقرءان شهادةً فهو من المؤمنين وأهل الذكر والذين لهم اعتبارهم في القرءآن، لكن ككتاب الحجّة مطلقاً هي للنور القرآني في الأرض حصراً، وكل ما سوى ذلك مردود إليه في أمر هذا الدين الذي دلّ الله عليه نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام.

ومنها ولعلها من أهمّ الروايات الكاشفة عن ما حدث فعلاً في الأمّة ولا يزال يحدث. وهي في الترمذي وغيره وبغض النظر عن ما قيل في سندها فإن المعنى صحيح وبهاء الكلام يدلّ على بهاء مصدره، فضلاً عن أن فقراته مشهود لها بالقرءان وبالتجربة والوجدان. وهي أن علياً سمع أن الناس يخوضون في الأحاديث، فقال {أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ، فَقُلْتُ : مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ

مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "} أقول: فالفتنة بسبب الأحاديث مفهوم أصلها بما ذكرناه وغيره. والمخرج {كتاب الله}. وستجد أن أسباب الفتنة في الأمّة كانت تحديداً لأنهم أخذوا الأحاديث التي لم تكن فيها المقومات التي لكتاب الله بحسب هذه الرواية. فمثلاً، الأحاديث كانت لفظية غير مكتوبة كتابة منظمة منهجية كما كان كتاب الله، (والزعم بأن كتاب الله لم يكن مكتوباً على عهد النبي كذب ليس هذا محلّ ردّه، لكن على أقلّ تقدير عند مَن يعتقد بذلك الكذب فإن القرءان كُتب وجُمع عندهم جمعاً منظماً مشهوداً من الصحابة عموماً وعلى ملأ منهم بعد عهد النبي مباشرة، ومثل هذا لم يحدث للروايات، فبهذا الفرق نكتفي لإثبات الاختلاف بينهما). ثم الأحاديث تدعي أنها تدلّ على قصص السابقين وما سيحدث في المستقبل، وسيقع الاختلاف بسبب هذين، فدلّ النبي على أن كتاب الله فيه {نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم} بما يغني عن الأحاديث لمن كان همّه الدين والآخرة. كذلك الأحاديث ستدعي وهي أكبر دعوى وأهمّها أن فيها الأحكام والشريعة، وهذا أكبر وأساس مدار الفتنة، فقال النبي أن كتاب الله فيه {حكم ما بينكم} و {مَن حكم به عدل}. وعلى هذا النمط اقرأ باقي الرواية فإنها نفيسة وهي شاهد منير من عين منبع الفتنة المذكورة. وأهمّ شاهد هو قوله {مَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله}، وكذلك قوله {لا تزيغ به الأهواء} خلافاً للروايات التي زاغت ولا تزال تزيغ بها الأهواء.

ومنها رواية عن ابن مسعود يقول فيها ، {مَن أراد خير الأولين والآخرين فليثوّر القرءان فإن فيه خير الأولين والآخرين} وفي رواية {علم الأولين والآخرين} وفي رواية {مَن أراد العلم فليثوّر القرءان}. أقول: كتاب فيه خير وعلم الأولين والآخرين، يكفي مَن عقل. وإذا كان كذلك وهو كذلك، فتحكيم فهمه على سواه هو الحق أو الأحقّ على أقلّ تقدير.

مسألة أخرى: في كتاب السيوطي، الإتقان، النوع الثامن والسبعون في معرفة شروط المفسّر وآدابه. ذكر نقاط تفيد في هذه المسألة التي هي كيفية فهم القرءآن.

كتب السيوطي {قال العلماء "مَن أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أوّلاً من القرآن، فما أُجمل منه في مكان فقد فُسّر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه.} ثم قال {فإن أعياه ذلك طلبه من السنّة فإنّها شارح للقرآن وموضحة له، وقد قال الشافعي رضي الله عنه "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله" في آيات

أخرى وقال صلى الله عليه وسلم "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" يعني بالسنة. } ثم قال {فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختُصّوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح}

أقول: فهذا الكلام يشهد بأن أولى سعي وأول عمل هو تفسير القرءآن بالقرءان، ثم إن {أعياه} ذلك ذهب إلى السنة، ثم إن {لم يجده} في السنة ذهب إلى الصحابة. بالتالي، البداية من فهم القرءان بالقرءان، بلا سنة وبلا صحابة. وأما الإعياء وعدم الوجدان فنتركه لمن يريد أن يعيا فهو شأنه، وأما نحن فنأخذ بقوله تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} وقوله {إن ربك هو الفتّاح العليم} وبيدنا مفتاح الملائكة {سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم}.

ثم لاحظ أن السنّة قيمتها حين تكون {شارحة للقرآن وموضحة له}. فالشارح والموضح لا يكون كذلك إلا إن كان شارحاً وموضحاً ! وليس مستقلاً ومنفصلاً ويأتي بأمور لا تدري أين هي في القرءآن وما الذي يشرحه وما الذي يوضحه أصلاً. لابد أن يبيّن الذي يأتي بما يدعي أنه سنّة النبي ما الذي شرحته هذه السنة ووضحته بالضبط وما بيان ذلك وتفصيله.

ثم كذلك قول الصحابة، فإن العبرة بهم إنما هي لأنهم حسب الفرض هنا {أدرى بذلك} يعني أدرى بتفسير القرءان، بسب ما يذكره من الخصائص لهم. فليكن ذلك كذلك، لكن العبرة أيضاً هي من حيث الدراية بالقرءان، فلا تكفي مجرد الرواية بل لابد من الدراية وإثبات وجود الدراية فعلياً. وعلى أية حال لن يكون قول الصحابة أعلى من سنة النبي، وقد عرفت وجه الاعتبار بها قبل قليل.

في فقرة أخرى، ينقل السيوطي عن البرهان للزركشي وهو في علوم القرءان أيضاً، وهذا نصّه {للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة: الأول النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الطِّراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير ولهذا قال أحمد "ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير". وقال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام والحساب اليسير بالعرض والقوة بالرمي في قوله " وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة". قلت: الذي صحّ من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى".}

أقول: هذا طرازهم المعلم كما ترى ! {يجب الحذر} فيه، بسبب كثرة الضعيف والموضوع منه، والغالب ليس لها أسانيد صحاح على قول أتباع أحمد بن حنبل وعلى قول أحمد لا أصل

لها كلها، وشهادة المنقول عنه أن الذي صحّ من ذلك {قليل جداً} والمرفوع منه إلى النبي {غاية القلة}. فإذا كان هذا حال ما جاء عن النبي في التفسير، فكيف يُزعَم بأن أصل عملية التفسير وفهم القرءآن معتمدة على المروي عن النبي بهذه الروايات؟

حسناً. فماذا عن قول الصحابي؟ يقول الزركشي {فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في مستدركه. وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل ألا يُرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجّة. والصواب الأول، لأنه من باب الرواية لا الرأي. قلت: ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه، ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة. وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسنَد، فإنما يقول فيما فيه سبب النزول. فقد خصص هنا وعمم في المستدرك، فاعتمد الأول، والله أعلم}

أقول: إذن في تفسير الصحابي احتمالات. إما أن قوله ليس بحجّة فلا يُرجَع إليه في التفسير. وإما أن قوله حجّة فيما فيه سبب نزول فقط لأنه من باب حكاية التاريخ والتاريخ يؤخَذ من الشاهد له. وإما أن قوله حجّة في التفسير عموماً على أساس أن الصحابي لا يقول التفسير إلا لأنه سمعه من النبي وأخذه منه وليس من قبيل رأيه الشخصي. إذن ليس قولاً واحداً عند هؤلاء العلماء من أهل السنة وتعظيم الصحابة مطلقاً. بل فيها قول بأنه لا يُرجع إليه، والقول المعتمد عنده هو أنه يُرجع إليه في باب سبب النزول فقط. فإذا عرفنا أن فكرة سبب النزول هذه، وعدد الروايات فيها وصحتها ومدى تطابق معناها المدعى مع سياق القرءان، هو بحد ذاته قضية مشكلة بل مصيبة من مصائب فهم القرءان في كثير جداً من المواضع وتُفسد نظم القرءان وترابط آياته في كثير من الأحيان إن لم يكن معظمها إن لم يكن كلها، فالنتيجة هي أن تفسير الصحابي لا حجّية له أصلاً أقصد على سبيل التقليد له وعدم عرضه على القرءان للتأكد من صدقه ووجود شواهد له. طبعاً لا يخفى أن كلمة "صحابة" هنا تخلط بين الكبير منهم والصغير، والمؤمن والمنافق، والزاهد وعبد الدنيا، ومريد الآخرة ومريد الدنيا، ومَن صدق وثبت ومَن ارتد أو غيّر وبدلّ وحرّف أو غلط ونسي أو أخطأ، وهكذا الأمر مختلط. فحتى إن خلطنا وجمعنا الكل في بوتقة واحدة، فالأمر كما تراه عند السيوطي ومن نقله عنه من علماء الحديث من أهل السنة. فما بالك إذا ضممنا بقية الأمور إلى ذلك.

نقل السيوطي أيضاً واقعة لكنها موضوعة في سياق يفسّرها بنحو وليس ضرورياً. وذلك بعد أن نقل التفسير باللغة والتفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضى من قوة الشرع وذكر جواز ذلك في التفسير ودعّمه بالأدلة، قال {ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كلّ برأيه على منتهى نظره} أقول: واقعة اختلاف الصحابة في معنى الآية حق، وهذا

بإقراره. وكون كل واحد منهم أخذ بحسب رأيه ومنتهى نظره أيضاً حق، بحسب إقراره. فإن كانوا فعلاً يأخذون عن النبي ولهم المعرفة التامة وما أشبه، فلماذا اختلفوا؟ إن كان قول الصحابة في التفسير شيئاً واحداً، وكأنه يوجد شيء اسمه "تفسير الصحابة" في طرف، وتفسير غير الصحابة في طرف مقابل، فلماذا اختلفوا؟ وإن كان لا يجوز تفسير القرءان بالرأي ومنتهى نظر القارئ، فلماذا فسّر هؤلاء الصحابة القرءآن برأيهم ومنتهى نظرهم؟ كل هذا يدلّك على بطلان ما يزعمه المتمسلفة في هذا الباب.

تجد خلطاً آخراً حين يروون حديث النبي في ابن عباس {اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل} وقول علي بن أبي طالب في البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة {إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن} بأنه من باب "التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضى من قوة الشرع". فهذا على أقلّ تقدير خلط وعلى أحسن الظن تفسيرهم الخاص ورأيهم في هذه الأحاديث التي ظاهرها خلاف ما يقولونه. فإن إيراد هذه الأحاديث في هذا الموضع يشير إلى أن هذا الفقه والتعليم والفهم مصدره نوع من العمل الذهني اللغوي البحت. بينما الحق هو أن النبي دعا لابن عباس حسب هذه الرواية بأن يكون فقهه وعلمه من لدن الله تعالى، {اللهم فقهه..وعلّمه}، فإن صدقت الرواية واستجيبت الدعوة ونطق ابن عباس عن مقتضى هذا الفقه والتعليم الإلهي حصراً، كان لكلامه نوعاً آخراً من القوة بخلاف مجرّد الفهم الذهني اللغوي الذي اعتاده الناس.

والأظهر من ذلك الرواية عن علي. وهي هذه حسب ما أخرجه البخاري {قُلتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: هلْ عِنْدَكُمْ شيءٌ مِنَ الوَحْيِ إلَّا ما في كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما أعْلَمُهُ إلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا في القُرْآنِ، وما في هذِه الصَّحِيفَةِ، قُلتُ: وما في الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وفَكَاكُ الأسِيرِ، وأَنْ لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بكَافِرٍ.} أقول: السؤال كان الوحي، {هل عندكم شيء من الوحي}. فبماذا أجاب علي؟ ذكر أمران، الثاني هو شيء في صحيفته أخذه عن النبي وكتبه عنه على ما يُفهَم من الحديث، لكن الأول وحتى قبل ذكر الصحيفة هو {فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن} فجعل ذلك جواباً على الوحي، بالتالي هذا الفهم الذي {يعطيه الله} هو نوع من أنواع الوحي، ولذلك ذكره ما بين كتاب الله وما بين الصحيفة التي كتبها عن نبي الله، فهذا الفهم المفتوح لأي {رجلاً} بدون تخصيص وتحديد بنوع أو زمان أو مكان بل هو مفتوح لكل رجل إن شاء الله، له درجة من درجات الوحي من حيث أنه من عطاء الله المباشر له مثل قوله عن سليمان "ففهمناها سليمان وكُلاً آتينا حكماً وعلماً". لكن على آية حال هو فهم {في القرآن}. إلا أن سؤال السائل {هل عندكم} وجواب علي {رجلاً} يشير أيضاً

من وجه إلى أن {عندكم} هذه تشير إلى رجال أهل البيت، وهذا حق من حيث أن كل أهل الله هم من أهل البيت كما كان سلمان الفارسي مثلاً من أهل البيت. ويكفي هذا من هذا الوجه.

ونختم بنقل آخر من كلام السيوطي {وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم.} أقول: بغض النظر عن كل ما وضعوه من قيود وشروط يمكن الكلام فيها بشكل أو بآخر، فيكفي مثل هذا القول لمعرفة أن حصر تفسير القرءآن بتلك الروايات النزرة اليسيرة والتي مصدرها فيه ما فيه، ونقلها فيه ما فيه، لا يمكن أن يبلغ حتى ذرّة أو قطرة من بحار فهم القرءآن العظيم. نسأل الله أن يفتح لنا ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وهو الفتّاح العليم. والحمد لله رب العالمين.

...

سأل عن الأسماء الحسنى واسم اللطيف خصوصاً فقلت: بالنسبة لاسم اللطيف. وتفرّد الأسماء. فحتى اسم الواحد يأتي مقروناً باسم آخر دائما وهو القهار، لأن الواحد قد يكون قهاراً وقد يكون مقهوراً مثل الإنسان الواحد أو الشجرة الواحدة. فالوحدة القهارية وهي الوحدة التي لا حد لها هي الوحدة الإلهية. وأما وحدة المحدود فهي وحدة غير قهارية بل مقهورة على الحد الذي هي فيه. وأما اللطيف، فكذلك يأتي مقروناً بأسماء مثل الخبير. كل اسم من هذه الأسماء غير الله والرحمن جاء مقروناً بأسماء أخرى. الصمد جاء مقروناً بالله. وأما {أحد} فلم يقل "الأحد" فيُشعر بأنه سمة لاسم الله "هو الله أحد". والباقي كله مقرون. جاء الرحمن وحده "الرحمن. علم القرءآن" والله كثيراً منفرداً. فالله يقوم وحده، والرحمن يقوم وحده، والباقي لا يقوم إلا مع اسم آخر عادةً ويتبع اسماً أو ضميراً. وباعتبار آخر، نرى أن اسم الله اقترن بالرحمن والرحيم في البسملة. فهذه الأسماء إذن لها حدود من حيث أنها أسماء ظاهرة، وأما حقيقة الله تعالى واسمه الأعظم هو اسم لا حد له أصلاً ولا يمكن التعبير عنه رسماً ولفظاً. فالحق تعالى حقيقته واحدة والأسماء كثيرة. فمن عرّفه الحقيقة فقد عرّفه الاسم المطلق إن صح التعبير.

...

سألت الله تعليمي أمراً جديداً حياً، فجاءني هذا الدعاء: اللهم هب لي كلمتك التي لا تنفد، واسمك الذي لا يُحَدّ، ورضوانك إلى الأبد. ففرحت به فرحاً عظيماً والحمد لله وحده.

تنبيه: لا علاقة لهذا الدعاء بالسؤال عن الأسماء الحسنى سابقاً، فإن الدعاء جاءني من قبل وكتبته في دفتري ثم نسخته هنا الآن، بينما السؤال السابق أجبت عليه قبل دقائق فقط. فإني لا أكتب هذه الكلمات بحسب ترتيب نزولها، لكن بحسب التوفيق والتيسير والوقت والتفرغ

لكتابتها. فقد أكتب الأمر الجديد قبل القديم. فالترتيب ليس زمنياً بالضرورة في كل فقرة، وإن كان الغالب لعله الترتيب الزمني، لكني لا أراعي ذلك بالقصد الأولي.

...

{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم}

{والسارق} الذي يسرق القرءان، يأخذه بغير حقه وعلى غير فهمه وينسبه لمذهبه وعقيدته ونفسه كذباً. {والسارقة} كذلك. فالحكم لكل رجل وامرأة فعل ذلك، وكذلك لكل عقل وإرادة بمعنى أي سرقة متعلقة بعلم القرءان أو حكم القرءان فحكم فاعلها هو..

{فاقطعوا أيديهما} وذلك بتبيان خطأ طريقتهم في تناول القرءان،

{جزاءً بما كسبا} فلا يتحرّج مؤمن من القيام بذلك بل هو جزاء عادل لأن السرقة حقيقتها عدم الأخذ لأن السارق لم يأخذ الآية حقاً وإن كانت بحسب الوهم والصورة السرابية الظاهرة للناس ولعله كذب على نفسه أيضاً يبدو وكأنه قد أخذها وهي من حقه وتقول بقوله في العلم والحكم،

{نكالاً من الله} سيؤتيكم الله القوة لتبيان سرقتهم هذه، وكونوا في ردّكم ذوي شدّة وقيّدوهم وألزموهم بالحق وبما قالوه إلزاماً واضحاً قوياً،

{والله عزيز حكيم} فالسرقة لا تبلغ أمره تعالى لعزّته فالقرءان حق وسيعلم الكل حقيقته عاجلاً أم آجلاً في الواقع والوجود، لكنه تعالى حكيم والبيان لابد أن يكون بحكمة وهي الحكم المعقول بالعلم والمتناسب معه، والسرقة دائماً تنافي الحكمة، وتنسب إلى الله تعالى ما ينافي العزّة أو الحكمة، وكذلك تجعل القارئ في نفسه وعقله على خلاف مقضى العزّة التي جعلها الله لرسوله والمؤمنين والحكمة التي آتاهم إياها وبعثهم إلى أخذها.

...

{وترى الملائكة حافّين من حول العرش} العلماء حول القرءان.

{يسبّحون بحمد ربهم} يبدأون بحمد الله على إنزاله.

{وقُضي بينهم بالحق} بفهم القرءان.

{وقيل الحمد لله رب العالمين} يختمون بحمد الله على تفهيمهم القرءان.

...

قال بعد قراءة مقالة لي: يعني هل نتبع السنه ولا لا؟ وليش؟

قلت: نؤمن بكتاب الله في الأرض، وبرسول الله في السماء. وما سوى ذلك فيكون تابعاً لكتاب الله ورسوله الحي عند ربه. وأما الروايات فهي ليست السنّة الواقعية بمعنى أن النبي لو كان بيننا يقول ويفعل ويقر الأمور لكان حكم ذلك مختلفاً عن هذه السنّة المحكية المنقولة المنسوبة

للنبي وفيها الكثير وباعتراف نقلتها من الضعف والكذب والوضع والتحريف وبقية الإشكالات الكثيرة والظنون الكثيرة. فكل رواية تخالف آية، فهي مرفوضة. وأما الرواية التي توافق الآية وتتبع الآية، فهي مقبولة. وأما الرواية التي لا ندري هل توافق الآية أو تخالفها، فسبيلها تركها والتوقف فيها إلى أن يتبيّن لنا أمرها.

...

قالت:اذا ممكن عندي سؤال عن الصلاة بعد ان قرأت كتاب الصلاة وايضا قرأت الاجابات للاسئله اذا انا اردت ان اجمع بين الصلاة القرانيه والصلاة التقليديه مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الصلاة القرانيه هي الاساس وهي الصلاة الحقيقيه والصلاة الثانيه هي صلاة الرسول فأقوم بالاثنين معا والصلاة القرانيه نقوم بها في وقتين سؤالي هو في حال قمت بصلاة الرسول ايضا فكيف اقوم بها هل نفس الصيغه القديمة من حيث عدد الركعات واوقاتها الخمسه ؟؟ ام نفس الصلاة القرانيه من حيث الاوقات يعني اقوم بها مرتين في اليوم المره الاولى من وقت دلوك الشمس والوقت الثاني الفجر واذا وقتين فقط الي هو نفس الوقت الي نقوم به بالصلاة القرانيه فما عدد الركعات للصلاتين في هذه الحالة ؟

قلت: سؤالك واضح. تقومي بالصلاة القرآنية في الوقتين للمكتوبة وفي الليل للنافلة. وتقومي بالصلوات الخمس في أوقاتها المعروفة بكل تفاصيلها المعروفة بحسب أي مذهب فقهي تختارينه. لكن لا تتعصبي ضد مسلم في حال قام بصلاة تقليدية بشكل آخر، وصلّي مع الكل واقبلي الكل أيا كانت اختياراتهم فيها.

ثم اعلمي أن هذه الصلاة التقليدية لها أصول قرآنية في الجملة وقومي بها وفي قلبك هذا العلم والقصد، يعني قومي بها على أساس أنك تقومين بلون من الألوان الممكنة للصلاة القرآنية.

فمن تفاصيل ذلك مثلاً:

كما أن قراءة القرءان فيها كلمات وسكنات، فأنت تقرأين آية ثم تقفين عند الفاصلة، ثم تقرأين آية ثم تقفين عند الفاصلة، وهكذا يوجد كلام وسكوت. كذلك في الصلاة التقليدية توجد حركات وسكنات، تقومين ثابتة ثم تتحركين ثم تركعين بثبات ثم تتحركين للرفع وهكذا.

في القرءان توجد أربع عوالم، العزة والعرش والسماء والأرض. في الصلاة التقليدية توجد أربع مقامات، القيام والركوع والجلوس والسجود.

في القرءان، أربعة عشر حرفاً من فواتح السور مثل الم ون وق فعددها بدون تكرار أربعة عشر. كذلك في الصلاة التقليدية توجد أربعة عشر حركة في كل ركعتين. وأكثر صلاة هي ذات الأربع ركعات، فتكون ٢٨ حركة، وهذا يتناسب مع عدد حروف العربية على قول.

في القرءان أوامر بتلاوة القرءان ووالتكبير والتسبيح والتحميد والدعاء والاستغفار والتسليم على الرسل والصالحين والشهادة بالحق. في الصلاة التقليدية جوامع كل ذلك، ففي القيام يوجد تلاوة قرءان ودعاء قنوت، وفي الركوع التسبيح باسم العظيم أخذاً من {فسبح باسم ربك العظيم}، وفي السجود التسبيح باسم الأعلى أخذاً من {سبح اسم ربك الأعلى}، وفي الجلوس يوجد استغفار ودعاء، وفي التشهد يوجد شهادة الحق والتسليم على النبي والصالحين والنفس وهذا من قول عيسى {والسلام عليّ} وقوله تعالى {سلّموا على أنفسكم} ونحو ذلك، والتكبير من قوله {وكبّره تكبيراً} وصيغته من قوله على اعتبار {لذكر الله أكبر} وإن جاز في الفقه التكبير بغير هذه الصيغة لكن هذا دليل استئناس.

في القرءآن الأمر بالاطمئنان، {فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة}. وهذا انعكس في الصلاة التقليدية بالأمر بالاطمئنان فيها. وكذلك الخشوع {الذين هم في صلاتهم خاشعون}.

في القرءان ذكر عدد أجنحة الملائكة {مثنى وثلاث ورباع}، ومن هنا صار في الصلاة التقليدية ذات الركعتين والثلاث والأربع ركعات.

في القرءآن نداء للصلاة، {إذا نودي للصلاة} {إذا ناديتم إلى الصلاة}، فجاء في الصلاة التقليدية لون من ألوان هذا النداء وهو الأذان والإقامة المعروفة وكلها ذات مضامين قرآنية الأصول.

في القرءآن ذكر لخمس مرات لاسم النور في آية النور، كما أن الصلاة التقليدية خمس صلوات. وإذا عددنا حروف كلمات {نور، نور، نور، نوره، لنوره} بدون اللام تصبح ١٧ حرفاً على عدد ركعات الصلوات الخمس. و٩ ركعات منها صلاة ليلية هي المغرب والعشاء والفجر، واثنان منها من ذوات الأربع مثل {نوره، لنوره}. والاحتمال الآخر أن اللام من {لنوره} تشير إلى ركعة الوتر. كذلك في القرءان ورد في الحروف المقطعة ذات الحرف الواحد مثل ق وص، إلى ذات الخمس مثل كهيعص، ومن هنا صار في الصلاة التقليدية في الفرائض شيء بركعتين وبثلاث وبأربع، وكذلك في الوتر يوجد قول على أنه ركعة واحدة، وقد تصل إلى ركعتين نافلة زائد الوتر ثلاث ركعات فتكون صلاة الليل خمس ركعات، فهذا احتمال.

على هذا النمط، لتكن نيّتك حتى في إقامة الصلاة التقليدية أنك تقومين بصلاة قرآنية في لون واحد من ألوانها المحتملة. وحاولي التركيز قدر الإمكان في قراءتك، وادرسي كتاب الله.

...

ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله في الصلاة {مفتاحها الطهور (الوضوء)، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم}.

كلمة {الطهور} وهي في رواية، أو {الوضوء} في رواية أخرى، كلاهما من ستة أحرف. وأعضاء الوضوء ستّة أعضاء وهي الرأس واليد اليمنى واليد اليسرى والرأس والرجل اليمنى والرجل اليسرى.

كلمة {التكبير} من سبعة أحرف، ولذلك ورد في فقه آل علي عن النبي أن التكبيرات وإن أجزأت واحدة والثلاثة أفضل لكن السبعة أفضل الكل، وروي عنهم أيضاً أن النبي كان يُكبّر واحدة جهراً وستّة سرّاً. فورد التكبير سبعاً، وشاهده أن كلمة {التكبير} من سبعة أحرف.

كلمة {التسليم} من سبعة أحرف، ولذلك وردت سبع تسليمات: فقولك {السلام عليك أيها النبي} واحدة، وقولك {السلام علينا} ثانية، وقولك {وعلى عباد الله الصالحين} ثالثة، وتسليمة عن يمينك وتسليمة عن شمالك رابعة وخامسة، وورد بعد الصلاة {اللهم أنت السلام ومنك السلام} فهذه سادسة وسابعة. فتدخل بسبع تكبيرات، وتخرج بسبع تسليمات.

...

{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً}

لماذا سمّى العشاء {الصلاة} وسمّى الفجر {قرءان}؟

لأن الصلاة فيها معنى الرتبة الثانية من المصلّي في السباق وهو الثاني التالي بعد السابق الذي هو الأول، وكذلك لأن الصلاة من الصلوين الذي وسط الظّهر الذي يميل حين تنحني فيوجد معنى الانحناء إذن فيها. كلاهما موجود في معنى {لدلوك الشمس إلى غسق الليل}. فهذا الوقت مقسوم إلى اثنين، أي بين طرفين، {لدلوك الشمس} طرفه الأول، و{غسق الليل} طرفه الآخر، فهو من اثنين. ثم حركة الشمس هي حركة انحناء تبدأ من وقت الظُهر أو من بعد الظهيرة، فالشمس تكون مستقيمة مثل جسم القائم المستقيم، وبمجرّد ما تنحني درجة جهة الزوال يتحقق معنى {لدلوك الشمس}، كما أن الجسم حين ينحني من وسط ظهره أو المنطقة التي في ظهره التي تميل حين ينزل كهيئة الأمّ حين تنحني على ولدها، كذلك الشمس تنحني في هذا الوقت.

وأما {قرءان} فهو بالضدّ من ذلك. الصلاة حركة الشمس من الضوء إلى الظلام، لكن الفجر حركة الشمس من الظلام إلى الضوء وهو من اسمه {الفجر} من انفجار الضوء وهو ظهوره وإشراقه وإشعاعه.

فالقرءان وحدة {قرءان الفجر} بينما الصلاة ذات ثنائية {لدلوك الشمس إلى غسق الليل}.

وَالقرءان وجودي أي حركة من العدم إلى الوجود {الفجر}، بينما الصلاة إعدام أي حركة من الوجود إلى العدم {لدلوك الشمس إلى غسق الليل}.

وبما أن الأمر الحقيقي دائماً يبدأ من الوجود لأن الله تعالى هو الوجود الحق "الله نور"، فالإقامة بدأت {لدلوك الشمس} فأثبت الشمس كبداية، وهي وجود وظهور، ثم هذه الشمس تتنزّل في درجات العوالم من أعلاها إضاءةً وهي الموجودات الأولى ووالأولين في الإيجاد، نزولاً إلى آخرها ظلمة وهي مخلوقات أسفل سافلين، وبينهما أربع طبقات كلّية، لأن الموجودات الأولى هي المعبّر عنها بمستوى العِزّة "سبحان ربّك رب العزّة" وهو مقام ذات النبي المتلبّس بالصفات الحسنى لذلك هو "محمد" و "أحمد" من الحمد الذي هو ثمرة تنزّل الصفات الحسنى عليه من لدن الأسماء الحسنى، ثم الموجودات الثانية هي المعبّر عنها بمستوى العرش {رب العرش}، والثالثة مستوى السماء {رب السماء}، والرابعة مستوى الأرض {رب الأرض}، لذلك قُسِّمَت فترة {لدلوك الشمس إلى غسق الليل} إلى أربع أوقات حسب المروي عن النبي أي الظهر والعصر والمغرب والعتمة، فالظهر وقت العزّة ولذلك يقال بأنه أوّل صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليهما وسلم، ثم العصر وقت العرش، ثم المغرب وقت السماء، ثم العتمة وقت الأرض. فهذا تنزّل الأمر الإلهي من عليّين إلى سِجّين (تأمل قول النبي "الدنيا سجن المؤمن").

ثم بعد ذلك {وقرءان الفجر} فهذا تعبير عن المقام الإلهي الأعلى، الذي هو مقام الاسم الإلهي الذي له الوحدة. فالفجر وقت الله تعالى بالأخصّ، وقت أهل الاسم الإلهي، وقت المقربين، ولذلك خصّه بفضيلة {إن قرءان الفجر كان مشهوداً} مشهود مَن؟ مشهود الله بشهادة خاصة، فأهل الفجر هم أهل الله وخاصّته، (ومن هنا ورد عن النبي "أهل القرءان أهل الله وخاصّته").

يجمع ذلك قوله تعالى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد}. فقوله {في الآفاق وفي أنفسهم} يدل على الأفق الأعلى والأوسط والأدنى أي العرش والسماء والأرض، وأما الأنفس فهو عالَم النبي والنفوس التابعة لنفس الله تعالى "نسوا الله فأنساهم أنفسهم" "بعث في الأميين رسولاً من أنفسهم" " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" وهذا يدل على مستوى العزّة "لله العزة ولرسوله وللمؤمنين" "أنا ومن اتبعني". فالحق تعالى يتبيّن ويتجلى في العوالم الأربعة، ورؤية ذلك يكون بالصلاة {لدلوك الشمس إلى غسق الليل} فلذلك لابد من قراءة الآيات ورؤيتها وتعقلها وإقامة الصلة بينها وبين الآفاق والأنفس وتبيّن الحق بها. فهذا بالنسبة لصلاة العشاء حسب التسمية القرآنية. وأما بالنسبة لقرءان الفجر، فهو مختص بقوله تعالى {أولم يكفِ بربّك أنه على كل

شيء شهيد} كما قال {إن قرءان الفجر كان مشهوداً} وقال في أخرى "وشاهد ومشهود". ففضل وقت الفجر على وقت العشاء بأجزائه الأربعة كفضل ربك على سائر خلقه من أعلاه إلى أسفله. ثم القرءان من القرء وفيه معنى الجمع، وذلك لأن القرءان ككتاب يجمع كل آيات الآفاق والأنفس من حيث الحق والأمثال والسنن الكلية "ما فرّطنا في الكتاب من شيء" و "تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين" "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل". وكذلك لأن مَن عرف ربّه فقد عرف خلقه وتكفيه معرفته بربّه وتغنيه عن معرفه تفاصيل شؤون خلقه لكن العكس لا يصح. وكذلك لأن الضوء الذي يتدرج نزولاً من الظهر إلى العتمة أي العشاء من أوله إلى آخره إنما هو ضوء من الأمر الإلهي، فمن عرف أمر ربّه فقد عرف كل شيء. ثم اختصّ الفجر بأنه وقت تقرّب إلى الله من حيث أنه إشراقي، صعودي، وحركة من الظلمة إلى النور والله تعالى هو النور "الله وليّ الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور"، بينما الحركة العكسية من النور إلى الظلمات هي من شأن الطاغوت "والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات" ولذلك جاءت صلاة العشاء حتى تكون سبباً للنور يُقاوم عمل الطاغوت. فمَن أقام العشاء من أوله إلى آخره فقد كفر بالطاغوت، ومَن أقام الفجر فقد آمن بالله، "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى". فالعشاء حرب مع الظلام، والفجر سلام "سلام هي حتى مطلع الفجر".

...

الخير والشر، والحسنة والسيئة، أوصاف موضوعية لذوات حقيقية وجودية عالَمية، وليس مجرد مفاهيم ذهنية واعتبارية. كل مفهوم ذهني، لا واقع وجودي له، فهو باطل وخيال.

من هنا قال الله تعالى {وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كان به يستهزءون} وذلك من {سوء العذاب يوم القيامة}. فالسيئة أمر واقعي حقيقي يتعلّق بالعالَم الآخر.

ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الجنّة والنار عُرضتا له في الجدار وهو يصلّي ثم قال {لم أر مثل اليوم في الخير والشر}، فسمّى الجنّة {الخير} وسمّى النار {الشر}. بالتالي الخير والشر لهما واقع عالَمي تكويني.

...

تحويل آيات الله إلى أذكار وأدعية، من أعظم الأعمال الإيمانية والاستجابة لدعوة الله تعالى. فإن خلاصة العبادة بعد الفراغ من التسالم مع الخلق هي الذكر والدعاء للنجاة والفوز والرفعة في الآخرة.

...

مقالة للإنشاء: جمع كل الآيات التي تكلّم الله تعالى فيها مباشرة، مثل {يا عبادِ فاتقونِ} ومثل {قال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}.

...

{هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفّى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون}

أربعة تقابل أربعة. الأربعة الأولى فعل والأربعة الأخرى عقل وبدأت كلها بلام التعليل.

فقوله {من تراب} يوازي {لتبلغوا أشدكم} فالتراب ضعيف ثم يصير شديداً.

وقوله {من نطفة} يوازي {لتكونوا شيوخا ومنكم مَن يتوفى من قبل} فالنطفة مهينة والشيخ كبير حكيم.

وقوله {من علقة} يوازي {لتبلغوا أجلاً مسمى} فالعلقة تتحرر من الرحم بعد فترة كما أن النفس تتحرر من رحم الطبيعة بعد فترة.

وقوله {يخرجكم طفلاً} يوازي {لعلكم تعقلون} فالطفل ضد العقل.

من أربعة صنع أربعة، من الضد إلى الضد، من الأسفل إلى الأعلى. حتى تعلم وترى أن الفاعل في الضد الأدنى هو الحق تعالى {هو الذي خلقكم}. وتعلم بعد ذلك أمر الآخرة {هو الذي يحيي ويميت وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون}.

...

ما هي أيام الخلق الستة؟ ستّة شؤون إلهية. {كل يوم هو في شأن}.

لذلك في أوّل فصّلت قال عن الأرض {خلق..وجعل..وبارك..وقدَّر} ثم قال {في أربعة أيام}. هي أربعة أيام إلهية، من أيام الشؤون الإلهية، {كل يوم هو في شأن}. فالخلق شأن، والجعل شأن، والتبريك شأن، والتقدير شأن.

ثم قال في السماء {فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً} فهنا القضاء واحد، ينقسم إلى شأنين وهو الإيحاء {وأوحى} وشأن التزيين {وزينّا}.

بالتالي، {خلق السموات والأرض في ستّة أيام} تعني أيام من أيام الشؤون الإلهية.

...

قالت: ممكن سؤال.كيف ممكن اتعلم التأمل وادخله بيومي مش عارفة كيف .حتى يساعدني بالفهم والتنوير. جربت مرة اقعد بغرفة مضلمة واصمت لدقايق .خفت وحسيت بقلق رهيب وطلعت وماقدرت اكمل. حتى اني مش قادرة احب التأمل .لما انوي اني اتأمل نلاقي مليون

فكرة براسي وعقلي يهرب مني بعيد ونفكّر بأحداث صارت من قبل ايام او فترة. هل هذا طبيعي.

قلت: طبعاً طبيعي. ما يحدث معك هو بالضبط ما يجب أن يحدث في البداية. وهذا دليل أنك عملتي شيء ممتاز. خوفك وقلقك وتزاحم الذكريات المزعجة هو بالضبط ما يجب تجاوزه بالتأمل المستمر. ارجعي لذلك، وضعي وقتاً مثل ٣ دقائق ثم زيديها إلى ٥ وهكذا حتى تصلي فترات أطول. خذي ورقة وقلم واكتبي ما تشعرين به وتتذكرينه ولما تخرجي من التأمل اجلسي وفكري في هذه الأشياء وما سبب خوفك منها وتذكرك لها. أعيدي هذا الأمر حتى يزول بإذن الله. اضغطي على نفسك ولا تستسلمي. فستعيشي في خوف واضطراب مستمر بل ومتزايد إن لم تفعلي هذا.

...

سألت عن كيفية التأمل بعد قراءة كتابي أعمال الطريقة الثمانية فقلت لها: هو طريق واحد: اجلسي بصمت وراقبي ذاتي. لا يمكن التعبير عنه بأكثر من ذلك. لأنه أمر معروف بالذوق والتجربة بإذن الله.

...

الآية المبينة: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل والقرءان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه فأولئك هم المفلحون}

بيان للآية:

أ-الفلاح مترتب على أمرين، كلاهما اتباع. الأول قوله {يتبعون الرسول} فهنا اتباع إنسان. الثاني قوله {اتبعوا النور الذي أُنزل معه} فهنا اتباع لسان. فالأول هو محمد، والثاني هو القرءان، بالنسبة لأمّتنا. قال تعالى "وءامنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم". فقال " محمد رسول الله"، وقال "فذكّر بالقرءان" وَ "وأن أتلو القرءان". بالتالي، الفلاح مبني على أمرين، الأول اتباع النبي، والثاني اتباع القرءان. والقرءان أُنزل معه النبي، ولم ينزل النبي مع القرءان لقوله {اتبعوا النور الذي أُنزل معه}.

الفلاح هو المقصد من اتباع النبي والقرءان. والفلاح مقصد للنفس في الآخرة، هذا أصله وجوهره. وذلك لأن هذه الحياة دار عمل، وتلك الحياة دار جزاء، فما تزرعه هنا تحصده هناك، فمن زرع اتباع النبي والقرءان حصد الفلاح في الدار الآخرة التي هي الحيوان.

ب-ذكر الله ثلاث أسماء، وذكر لها ثلاث مصادر، ورتّب عليها ثلاث أعمال، وأمر بناء على ذلك بثلاث أوامر:

فالاسم الأول {الرسول}، والمصدر الأول {التوراة}، والعمل الأول {يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر}، والأمر الأول {ءامنوا}.

ومن هنا تعلم سبب ورود "أطيعوا الرسول" لأنه الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فالإيمان طاعة أمر الرسول. ومن هنا تعلم لماذا ضرب الله مثل محمد بموسى حين قال "إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا"، وكذلك باقي ما ورد في موسى وكتابه فإنه مَثل لمحمد وكتابه قال "فلا تكن في مرية من لقائه" وقال "ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة" وقالت الجن "سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى".

الاسم الثاني {النبي}، والمصدر الثاني {الإنجيل}، والعمل الثاني {يُحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث}، والأمر الثاني {وعزّروه}.

فكما أن عيسى قال "أحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم" ظهر ذلك في محمد من حيث نبوته التي يُحلّ ويحرّم فيها بالصدق وليس بالافتراء على الله "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب"، فالنبي هو الذي يأتي بالنبأ الصادق في ما هو حلال حقاً وحرام حقاً عند الله.

والنبي يخبر بنبأ الشيء يعني بالسنن التكوينية وما يترتب على الأمور، فهو إنجيل بهذا الاعتبار على أساس آية "ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سوقه" ففيها بيان الأمور المتتابعة المترتب بعضها على بعض.

وكذلك التعزير فيه معنى التعظيم والتفخيم، والنبي من نبا الشيء أي ارتفع شأنه، فمحمد لأنه يُنبئ عن الله الحلال والحرام يستحق تعظيم مقامه وتفخيم أمره بالمحافظة على ما أحلّه وحرّمه.

الاسم الثالث {الأمّي}، والمصدر الثالث {القرءان}، والعمل الثالث {يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم}، والأمر الثالث {ونصروه}.

الإصر والأغلال قيود مختلفة توضع على الناس من حيث عقولهم وإرادتهم، فهي الجبرية بأشكالها المختلفة ومواضعها المتعددة. والأمّي هو الذي يُرجع الأمور إلى الحالة الأصلية، فإن الأم هي الأصل، والإنسان ولدته أمّه حُرّاً بريئاً على الفطرة الإلهية، فلم يكن عليه لا إصر ولا أغلال، وهي حالة النفس الأصلية الراضية المرضية. لذلك قال {ونصروه} لأن أعداء النفوس الإنسانية من شياطين الإنس والجن شغلهم الشاغل وضع الأثقال والأغلال المختلفة عليها، فيأتي محمد من حيث أنه الأمّي أي الحرّ البرئ الطاهر الفطري ليضع أي يزيل ويمحو ويخلع ويكسر كل أسباب وضع الأثقال والأغلال عن النفوس، وحيث أنه لا يستطيع القيام بذلك بمفرده فلابد له من أنصار وقال الله "هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين"، وقال عيسى "مَن أنصاري إلى الله". القرءان كتاب الأمّي وهو وسيلة إرجاع النفوس إلى فطرتها ووضع الإصر عنها والأغلال التي كانت عليها.

فالرسول يأتي بالتوراة التي هي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكليف الناس الإيمان به.

والنبي يأتي بالإنجيل الذي هو كتاب تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وتكليف الناس تعزيره.

والأمّي يأتي بالقرءان الذي هو كتاب وضع الإصر والأغلال، وتكليف الناس نصرته.

والجامع لهذه الثلاثة هو {النور} لذلك كلمة نور من ثلاثة أحرف، النون والواو والراء، "الله نور"، ويشير إلى التوراة والإنجيل والقرءان في هذه الآية. فالنور جامع للثلاثة، فنور يكشف المعروف والمنكر حتى يأمر بالأول وينهى عن الآخر، ونور يكشف الطيبات والخبائث حتى يحلّ الأول ويحرّم الآخر، ونور يبيّن الإصر والأغلال ويبيّن أصل الفطرة حتى يضع عنها ذلك.

ج-أعمال سيدنا محمد خمسة: الأمر والنهي والتحليل والتحريم والوضع.

أسماؤه هنا ثلاثة: الرسول النبي الأمي.

عدد حروف الأسماء الثلاثة بحسب النطق والتلاوة مع الوقف عند الياء: ١٧. (ا رْ رَ س و ل، ا نْ نَ ب ي، ا ل أ مْ مِ ي).

تأويل ذلك: خمس صلوات في ثلاث أوقات أساسية مكوّنة من سبعة عشر ركعة. لذلك الأمر والنهي مثل الظهر والعصر، والتحليل والتحريم مثل المغرب والعشاء، وهذا مثل {لدلوك الشمس إلى غسق الليل} هي صلاة العشاء من بدايتها إلى نهايتها. فوقت العشاء الأول {لدلوك الشمس} وهو مثل الأمر والنهي، ووقت العشاء الآخر هو {غسق الليل} وهو مثل التحليل والتحريم. وهذان من الأَضداد. وهي الحركة من النور إلى الظلمات، فمحاربة الظلمات يكون بالإيمان بالرسول وتعزير النبي. وأما الوضع فهو عمل مفرد لا ضد له، وهو عودة إلى الفطرة والحرية من الخلق بالاتصال بالحق، ولذلك كان وضع الإصر والأغلال مثله {وقرءان الفجر} الذي هو وقت شهود الأسماء الحسنى.

فالأمر بالمعروف من عالَم العزّة. والنهي عن المنكر من عالَم العرش. وتحليل الطيبات من عالَم السماء. وتحريم الخبائث من عالَم الأرض. ثم وضع الإصر والأغلال من أمر الأسماء الحسنى التي لله تعالى.

عالم العزّة من الصفة وذات النبي "سبحان ربك رب العزة"، اثنان. عالَم العرش من الروح "الروح من أمر ربي"، واحد. عالَم السماء من سبعة "فقضاهن سبع سموات". عالم الأرض من سبعة "سبع سموات ومن الأرض مثلهن". اثنان وواحد وسبعة وسبعة، سبعة عشر. فهذه السبعة عشر ركعة في الصلاة المحمدية. والباقي هو الواحد المتعالي جل وعلا، وهو واحد قهار فوق الكل ومع الكل فلا يُعَدّ مع البقية "ثلاثة هو رابعهم". ولذلك جاءت كلمات النور من آية النور ذات ١٧ حرفاً "نور، نوره، نور، نور، لنوره" بدون اللام التي مع "نوره" الأخيرة، فاحتملت واحداً مع "نوره" وهذا الواحد الذي مع النور كلّه هو الله تعالى "وهو معكم أينما كنتم".

بحسب كتابة الأسماء الثلاثة {الرسول النبي الأمي} هي ١٦ حرفاً. فيكون عالم العزّة أيضاً من واحد من حيث كون العبد والصفة باعتبار لهما وحدة "ربك رب العزة" "فلله العزة ولرسوله". ويكون الواحد الأخير غيبي مع الستة عشر الذي يدل على الواحد القهار المتعالي. فيكون المجموع سبعة عشر، ١٦ ظاهرة وواحد غيب مطلق.

د-{اتبعوا النور الذي أنزل معه}

{اتبعوا} إشارة للناس. {النور} الجامع. {الذي أنزل معه} ثلاث كلمات مثل الأسماء الثلاثة. فالنور من نور الله، و{الذي أنزل معه} تدل على أنه بهذا النور صار {الرسول النبي الأمي}.

لذلك مَن أخذ هذا النور صار له حظ من الرسالة والنبوة والأمّية، فلذلك هو أيضاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر "كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

وتؤمنون بالله". كذلك يحلّ ويحرّم بحسب الوحي، ومن هنا جاء قوله "لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب" فمن أحلّ وحرّم بغير الوحي فقد دخل في هذا الوعيد. كذلك يصير أمّياً "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم" وقال "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون".

بالتالي، أسماء {الرسول النبي الأمّي} هي لسيدنا محمد بالأصالة والإطلاق، ولأمّة سيدنا محمد بالإفاضة والتقييد. وسبب ذلك اتباعهم {النور الذي أُنزل معه}. ولذلك يأتي ذكره مع الأمّة، مثل "وطائفة من الذين معك" في التهجد بالرغم من أن الأمر بالتهجد جاء له بالمفرد " ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا". وكذلك مثلاً جعله أجر القرءان "المودة في القربى" وأن هذا للناس وليس للنبي "وما سألتكم من أجر فهو لكم" وكونهم سبل إلى ربهم. وكذلك "محمد رسول الله والذين معه..ذلك مثلهم..ومثلهم". وقال " أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فهم منه لقول إبراهيم "من تبعني فإنه مني". وقال "ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون"، وقال "ءامنوا كما آمن الناس" فجمع وليس يفرد الإيمان كما آمن سيدنا محمد فقط. إذن، كل ما ثبت لسيدنا محمد هو لأمّة سيدنا محمد بسرّ اتباعه واتباع النور الذي أُنزل معه. {فأولئك هو المفلحون}.

...

بعدما بيّنت لنا كون صلاة العشاء من النور إلى الظلمات وصلاة الفجر من الظلمات إلى النور على مستوى الآفاق وتأويل ذلك، قالت لي صاحبتي: كذلك فتح المصحف فجر وإغلاق المصحف عشاء.

...

(في مواقيت الصلاة)

أ-هي مواقيت كيفية وكمّية وحقيقة عقلية.

أما الوقت الكيفي فهو المظهر الطبيعي لقوله {لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر}.

أما الوقت الكمّي فهو في باطن الوقت الكيفي، وذلك لأن الإنسان إذا كان في منطقة غير المنطقة العربية التي هي "أم القرى ومن حولها" فإن حركة الشمس عنده لن تكون بالاعتدال والانتظام الذي للمنطقة العربية. فيدخل في ذلك تقدير الوقت كمّياً، ومن هنا حديث "اقدروا له قدره" الوارد في الصلاة حين يختلف حال الزمان. ولهذا المعنى شاهد أي لكون الصلاة متعلقة بمقادير كمّية من سورة المزمّل حين لا توجد الشمس أدخل المقياس الكمّي العددي للزمان.

ويمكن أخذ متوسطات الوقت الكمّي الكامنة في الوقت الكيفي في الحجاز موضع نزول القرءان لجعله معياراً للبلاد التي لا ينتظم فيها الوقت كيفياً كالبلاد التي لا تظهر فيها الشمس مثلاً إلا مرّة كل فترة ونحوها.

أما الوقت الحقيقي العقلي، فهو باطن الكيفي والكمّي معاً. وإشارته قوله {لدلوك} بدلاً من "من دلوك". فقوله {أقم الصلاة لدلوك الشمس} يشير مع أدلة أخرى إلى الاعتبار العقلي، على أساس كون اللام للتعليل، بمعنى أن دلوك الشمس هو عِلّة إقامة الصلاة والفجر هو علّة إقامة القرءان. ما معنى ذلك؟ حين ترى أهل الظلمات ينشرون ظلماتهم، فقد حان وقت إقامة الصلاة بردّ تلك الظلمات بالنور، فالعشاء هو الجهاد بالقرءان "وجاهدهم به جهاداً كبيراً". وحين ترى أهل النور ينشرون نورهم، فقد حان وقت إقامة القرءان بأخذ ذلك النور، فالفجر هو جهاد تعلّم القرءان. ولا يوجد إلا واحد من هذين الأمرين. إما أن ترى ظلمة فعليك بالجهاد لتنويرها، وإما أن ترى نوراً فعليك بالجهاد لأخذه وقبوله. مَن حفظ الوقت الكيفي أو الكمّي ولم يكن من أهل الوقت الحقيقي العقلي فقد أخذ القشر وترك اللب، وحافظ على الوسيلة وضيّع المقصد والغاية.

ب-آية {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر} دليل قاطع على الصلاة القرآنية.

أحد هذه الوجوه، هو أن هذه السورة مكّية، بالإجماع. نعم ورد قول عن فرد أو أكثر بقليل أن هذه الآية نزلت بالمدينة، على أساس أن {إن كادوا ليستفزونك من الأرض} وما بعدها إلى ثمان آيات نزلن بالمدينة، لكن هذا القول لا يقاوم نظم السورة وحتى قوله {ليستفزونك من الأرض وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً} يشير إلى أن ذلك لم يقع بعد، لأن {كادوا} تشير إلى ما لم يقع بعد مثل "فلولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم" فهو لم يركن إليهم. فلدينا السورة عموماً واعتبار نزولها كسورة كاملة، ولدينا الاجماع الأصلي على كونها سورة مكّية، ولدينا في الآيات التي ادعى البعض أنها نزلت بالمدينة شاهد على أنها مكية قبل الخروج من مكة، فهذه ثلاثة أدلة تقاوم ذلك النقل الفردي. ويشهد لهذا المعنى أيضاً من الرواية نقلهم في ذيلها أن جبريل عليه السلام صلى الظهر بالنبي عند زوال الشمس، وعندهم أن هذا كان في مكّة، بالتالي نزلت الآية في مكّة.

الوجه الآخر، أنه حتى في الرواية المشهورة، أول أمر كان {اقرأ باسم ربك} والذي نزل قرءان، ولم تنزل الصلاة ذات الحركات الجسمانية بعد. وقد اختلفوا اختلافاً كثيراً في أمر الصلاة ما قبل الصلوات الخمس التي قالوا بأنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج وذلك بعد أكثر من

عشر سنوات من البعثة النبوية. وكان ثمّة صلاة يقيناً، لكن ما هي؟ اختلفوا، وفيهم مَن لا يفصّل وفيهم من ينقل عن فرد أو أكثر أنها كانت "ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي"، لكن ما معنى "ركعتين" هنا؟ وما حجّة ذلك؟ ومن أين جاء تفصيلها؟ لا جواب يشفي عندهم.

ما بيان ذلك؟ بيانه هو الصلاة القرآنية. هي الأصل من أول يوم، لأنها باختصار مضمون {اقرأ باسم ربك الذي خلق..اقرأ وربّك الأكرم}. الصلاة هي القراءة الربانية المشار إليها هنا. كانت كذلك من أول يوم، وبقيت على ذلك إلى اليوم. هذا جوهرها، ولبابها، وأساسها، وحقيقتها. وهو "الركن" الوحيد للصلاة، والباقي إضافات عليه. ولذلك قد تسقط تلك الإضافات ويبقى فرض القراءة واجباً جوهرياً لا يتغيّر. ومن هنا الحديث القدسي الذي يسمّي سورة الحمد "الصلاة"، ومن هنا قول النبي "مَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" فصلاته خداج أي ناقصة غير تامة، ومن هنا اتفاق كل المذاهب الفقهية الإسلامية على قراءة القرءان في أوقات الصلاة وحتى في غير أوقاتها.

...

ذكر من آية {فابتغوا عند الله الرزق..إليه ترجعون}:

لا إله إلا الله عنده الرزق كله، لا إله إلا الله له العبادة وحده، لا إله إلا الله له الشكر كلّه، لا إله إلا الله إليه يُرجَع الأمر كلّه.

(ثم اذكر بدلاً من "لا إله إلا الله" كل الأذكار، مثل بسم الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وتبارك الله وتعالى الله وحسبي الله وربي الله)

...

بعد استقرار أمر المعيشة لكل الناس، يعني توفر الطعام واللباس والسكن والنظافة والصحة وما إلى ذلك من أمور المعيشة، ثم بعد استقرار أمر الحرية الدينية والكلامية في المجتمع السياسي. بعد ذلك يبقى الناس على ثلاث طبقات في هذه الحياة: فأهل الطبقة الأعلى يشتغلون بالكتب، والطبقة الوسطى يشتغلون بالتسلية، والطبقة الدنيا يشتغلون بالمخدرات.

...

في الحديث {مَن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار} وورد بغير قيد "متعمدا" مع تغيّر في بدايته "مَن قال عليّ ما لم أقل" أو عبارة نحوها تشير إلى نسبة قول إلى النبي لم يقله، وورد بغير قيد "متعمداً" عن الزبير وعثمان بن عفان في الأصول التسعة. وعليه، وعلى أساس أنه ورد فيه وعيد شديد بالنار، وكذلك بما أن كتاب الله أصل ثابت ومأمور به حتى في الحديث، فالاحتياط يوجب ترك الحديث كأصل في الدين، واعتباره مطلقاً تابع للقرءان، ويُحكَم عليه بالقرءان وليس العكس، نظرياً وعملياً.

تنبيه: حين يرد في كلامي {قال النبي} فإني أقصد بذلك:

أوّلاً قوله تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} واعتبار النبي هو مصدر كل نور في العالَم من حيث نبوته الكونية،

وَثانياً قوله تعالى {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} فإن كان مؤمناً لا يستوي حكمه مع حكم الفاسق لقوله تعالى {أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون}، فليس من الضروري التبيّن إن ثبت إيمان صاحب النبأ، وورد تحسين الظن بالمؤمنين والمؤمنات {ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً}،

وعلى هذين الأصلين، إذا وجدت في قول ما نوراً وخيراً وحسناً وحكمةً وما أشبه، ووجدت بعض الأمّة قد نسب ذلك إلى النبي، فإني أنسبه إلى النبي بهذين الاعتبارين، وليس لأني أجزم تاريخياً بأن النبي قاله.

...

{أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً} لا تعجب، فإن أعجب منهم أفراد من أمّتك يقوم الواحد فيهم منفرداً بمثل بل بأشدّ مما قام به أصحاب الكهف، ورقيمهم أي كتبهم فيها علم أعظم مما كان في رقيم أصحاب الكهف.

...

ورد في كتاب اليهود عن الإسرائيلين قولهم لربهم {سنعمل وسنسمع}، واستغربوا كيف وردت العبارة على هذا الترتيب، أي تقديم العمل على السماع وكان المعقول حسب رأيهم أن يقولوا " سنسمع وسنعمل" على أساس أن العمل مبني على سماع الأمر أولاً، وقال بعضهم بأن معنى هذا هو العمل وسيلة للفهم فأوّلوا السماع بالفهم واعتبروا العمل مقدمة للفهم. أقول: في هذا تغيير للنصّ لأن النص {سنسمع} وليس سنفهم، وَفيه تغيير آخر لأن النص {سنعمل وسنسمع} وليس "سنعمل حتى نسمع" أو "سنعمل لكي نسمع" أو ما أشبه مما يشير إلى ترتّب السماع على العمل بل النص عطف مجرّد عن الترتيب السببي. فما بيان ذلك؟ بيانه: {سنعمل} بالحكم، {وسنسمع} للعلم. فالعمل خطاب الإرادة، والسماع خطاب العقل، والكتاب فيه أوامر وأخبار، فلابد من العمل والسماع. والسماع هنا سماع قبول لا مطلق السماع، فإنه لا عبرة بالإقرار بالسماع إن كان مجرد سماع صوت فهذا لا قيمة له فحتى الكافر والبهيمة تسمع الصوت المجرّد.

ورد أيضاً في كتاب اليهود أن عقوبة آدم بعد الأكل من الشجرة هي الأكل من عرق جبينه، وعقوبة حواء ألم الحمل والولادة. أهل الظاهر منهم اعتبروا هذا تفسيراً للمعاناة المادية

الطبيعية للبشر في هذه الدنيا. أقول: هذا مشكل من وجوه، منها أن بعض البشر لن يأكل من عرق جبينه وبعضهم لديه من الثروات من يوم ولادته إلى يوم وفاته لم يعرق جبينه يوماً واحداً لتحصيل معاشه، وكذلك بعض النساء لا تحمل أصلاً وبعضهن اليوم يأخذن أدوية تمنع آلام الحمل والولادة كإبرة الظّهر المعروفة. وَمنها أنه ليس كل حركة وألم شرّ للإنسان، لا باعتبار الدنيا ولا باعتبار الآخرة، أما باعتبار الدنيا فالحركة والألم تنفع من وجه للذّة فالجبين يعرق عند الجماع وعند الرياضة والتسلية وليس ذلك مؤلماً للإنسان بالمعنى السيء للألم، وأما باعتبار الآخرة فإن آلام الدنيا وسيلة لجعل النفس تكره الدنيا أو لا تتعلّق بها حين يأتي أجلها فتخرج منها متحررة منها شاكرة لنعمة الآخرة وعدم العودة إلى الدنيا.

فما تأويل ذلك باعتبار الحقيقة؟ تأويله: الكشف والوحي. فالنفس قبل المعصية، تأخذ العلم بالكشف بدلاً من "عرق الجبين" الذي يشير إلى التفكير المنطقي والاستنباطي والاستقرائي وما يتعلق بذلك من مشقة عقلية. كذلك النفس حين تريد توصيل معانيها وتحقيق مرادها كانت تفعل ذلك بمجرّد الإرادة مثل كن فيكون وبالوحي الذي ينقل المعنى بين النفوس مجرّداً وبسرعة، وبعد المعصية صارت مضطرة إلى استعمال اللغة وكل ما يصحب تحويل ما في النفس إلى لغة وآثار ذلك من قيود مثل عدم فهم المخاطَب لعدم فهمه لغتك أصلاً أو لسوء تفسيره لكلامك والقيود الاجتماعية على الكلام والاضطهاد بسبب ذلك بدرجة أو بأخرى وكل ما سوى ذلك من آلام الحمل والمخاض الفكري. ثم عقوبة الثعبان كانت أنه سيزحف على بطنه كل أيامه، والثعبان هو الجسم، ففي الجنّة كان الجسم مندرجاً في النفس وحرّاً من الأغراض الطبيعية، لكن بعد الهبوط سيصير مدار همّه هو بطنه، إما همّ إدخال شيء إليه أو همّ إخراج شيء منه أي المطعومات والفضلات. فآدم هو العقل، وحواء هي الإرادة، والثعبان هو الجسم. والعقوبة بعد الهبوط تشير إلى تبدّل من الكشف والوحي والحرية إلى الفكر واللغة والحاجة.

...

قالت صاحبتي: علاقتي مع أمّي ليست بتلك الجودة.

قلت: سأخبرك بِسرّ الأمر كله. انسي الدين كلّه وحافظي على صلاتك لله، وانسي الناس كلهم وحسّني علاقتك بأمّك. هذا هو الدين كله، والباقي حواشي.

...

الشيطان مستمتع بما يحدث في العالَم الآن. نصف العالَم مشغول عن أمر نفسه وآخرتها بالهموم السياسية للطاغين، والنصف الآخر مشغول عن أمر نفسه وآخرتها بالهموم الاقتصادية للرأسماليين. القلّة المتغولة للسلطة والثروة هم أفضل أدوات الشيطان في الأرض، بل قد كفوه العمل، وأشغلوا الناس بأبدانهم عن نفوسهم. هذا بالرغم من أنه واقعياً، كل

عناصر تحرير الناس سياسياً واقتصادياً متوفرة ومُيسَّرة، لكن الناس يبغي بعضهم على بعض. فالحمد لله، واللعنة على مريدي العلوّ في الأرض باحتكار السلطة والبخل بالثروة.

...

سأل عن ترتيب الصوفية لمقامات الأولياء ومَن هم الأوتاد.

قلت: الفكرة الأصلية هي أن كل نبي له ولي وارث لمقامه في العالَم. وفكرة أخرى هي أن كل ما ورد في آيات الآفاق له نظير في الأنفس الإنسانية، فلما قال الله {والجبال أوتادا} فذكر أن للأرض أوتاد حتى لا تميد بأهلها، فدل ذلك على وجود نظير لهذا في عالَم الإنسان وهم الأوتاد. {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}. فمعرفة نظام الأكوان في الخارج، يصبح آية على نظام الإنسان في الدين.

الدين يضطرب بدون اليقين، فحين يكون الدين مبني على الظنون فقط سيحدث اضطراب فيه، وهذا ما يحصل بسبب أهل الفكر والتاريخ من علماء الدين، لكن حين يأتي أهل الكشف والشهود فإن هؤلاء يجلبون للدين يقيناً واستقراراً لأنهم يتكلّمون ويبيّنون ويحيون حقيقة الدين وروحه ويتذوقون وحيه ويشهدون لحقائقه العالية. فالأوتاد هم أهل الكشف والشهود. هذا في الجملة.

...

(قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) هم الذين جهلوا رؤية الله في رسوله وأوليائه، والذين أنكروا تجليه لهم بكلامه وقرءآنه.

(حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) كشف غطاء الطبيعة، وإشراق نور الحقيقة. بغتة لأنهم لم يحافظوا على الصلوات في مواقيتها.

(قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) كالذين يكون بين يديه منجم ذهب وهو يحسبه مجرد حجر رخيص، فإذا جاء موعد سوق الذهب ورأى استنباط الذهب من داخل الحجر ندم وتحسّر. هذه الطبيعة منجم ذهب، كل ولي منجم، كل آية منجم.

(وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كل اتصال بالله يخفف عن النفس ثقل ما، فالظلمات أثقال سيئة، وكل آية تعقلها تتحرر بها من ثقل ما، وكل نبي وولي تؤمن به وتعزّره وتنصره يخفف عنك ذلك ثقل ما. لكن مَن لم يفعل ذلك، خرجت نفسه وهي حاملة أثقالها السيئة كلها.

(ألا ساء ما يزرون) النفس في الجسم كالفراشة قبل انطلاقها وتطورها للطيران، فإن خرجت النفس بسيئاتها تسافلت وهبطت إلى المستويات الأدنى من الدار الآخرة. تحرر بذكر الله ورؤيته في كل شيء، وتعقل كلامه، ونصرة أوليائه.

...

مما يسيء أهل القرءان حقاً اليوم أنه تقريباً كل مَن يتصدّر للدعوة إلى القرءان وحده هم أناس من الماديين الذين لا تشعر بنفخة الروح ولا نفحة الرحمة منهم ولا من كلامهم وكتبهم.

...

قال: هل عندك فكرة عن مثلًا عبارة (انا وتدك الاول)..هل هم اربع اوتاد ام المسالة مطلقة؟ ام هي محددة بحسب طبيعة الانسان الباحث باعتباره مدار مهمة الاوتاد.

قلت: الطبيعة لها أربع أركان في التصور العقلي وهو ما كان يعرف بالماء والنار والهواء والتراب، أو أربع طبائع الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة. كذلك في النفس توجد أربع أمور، لابد لها من أربعة أسباب لتثبيتها ومنع اضطرابها. فمن هنا الوتد الأول والثاني والثالث والرابع للنفس. فالحرارة هو شيخ الذكّر، والبرودة شيخ الفكر، واليبوسة شيخ الأحكام الشرعية، والرطوبة شيخ التربية الروحية. كذلك الماء آيات علم الله، الهواء آيات حب الله، التراب آيات أحكام الله، النار آيات ذات الله. ونحو ذلك من الاعتبارات التي تنظر إلى أسباب الرسوخ والاستقرار النفسي. هذا تأويل.

...

(من سورة فُصّلت)

أ-في الآية ٢٥ قال {وقيّضنا لهم قرناء} وفي الآية التي بعدها قال {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءآن}. لاحظ أن كلمة {قرناء} لها نفس حروف {قرءان} لكن باختلاف الترتيب. فعلامة القرناء الذين عبر عنهم بقوله تعالى {فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم} هي أن تجد الإنسان يقول {لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون}. فأصحاب القرناء أعداء القرءان وأصحابه.

ب-{ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم.} لم يقل: سيصير ولياً حميماً. بل قال {كأنّه ولي حميم}، فكلمة {كأنه} تدل على أنه سيبقى عدواً في الواقع، لكن حين تدفع أنت بالتي هي أحسن فبالنسبة لك سيكون كأنه ولي حميم، لأنك تدفع العدو بالسيئة وتعطي وليك الحميم الحسنة وتعامله بها، فبما أنك في الدنيا لابد من أن يكون له أعداء لكونك صاحب قرءان فما الحلّ؟ نريد صفاء النفس وصحبة الأخيار فقط، وهو المصير في الجنّة برحمة الله. فماذا نفعل الآن طالما أننا في الدنيا ومضطرين للعيش وسط العدو والخبيث؟ الحل هو

{ادفع بالتي هي أحسن} فحينها ستشعر بأن الكل أولياء لك، لا يوجد عدو، وهذا حل نفساني وليس واقعي خارجي، فحتى الذي بينك وبينه عداوة قد تبقى العداوة بل لكونه لئيماً قد يزداد لؤماً حين يرى دفعك إياه بالتي هي أحسن، ولذلك قال {وما يلقاها إلا الذين صبروا} فلابد من الصبر على الظاهر والواقع السيء للعداوة واعتبار الجانب النفسي الخاص بك ورؤية باطن الأمر فقط وصنع صورة في ذهنك تخالف الواقع الخارجي ولابد لهذا من صبر لأن تصور خلاف الواقع شديد على النفس. وقال بعدها {وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} لأنه وهو في الدنيا رأى الكل كأولياء له، ونال نصيباً من الجنّة وهو لا يزال في الدنيا. فلا تقل: عاملته بالتي هي أحسن فلم يتحوّل إلى ولي حميم بل ازداد سوءاً. فليس هذا المقصد من الآية أصلاً، بل المقصد أن تراه {كأنّه ولي حميم}. فإن احترم نفسه وتحوّل فعلاً إلى ولي حميم، فهو خير على خير. وإن لم يتحوّل، وبقي على عدواته، فأنت قد فزت بحظ عظيم من الخير حين عاملته كأنه ولي حميم، فلا يكون أمامك من الناس إلا ولي حميم إما في ذهنك وفي الخارج وإما في ذهنك فقط، وعلى أية حال أنت تتأثّر بما في ذهنك أكثر مما تتأثر بما في الخارج بل ما في الخارج يتوسّل ذهنك للتأثير في نفسك.

ج-{ومن ءاياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون}

فالليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله، وهي مخلوقة لله. كذلك آيات القرءآن، هي آيات الله وهي مخلوقة لله. فالقرءآن مثل الأكوان، هذا آية وتلك آية، هذا بكلمة الله وتلك بكلمة الله.

مَن يسجد للشمس والقمر، مثل الذي يسجد للقرءان والنبي، كلاهما يعبد آية الله ولا يعبد الله، {إن كنتم إياه تعبدون}، فلم يعتبر السجود لآياته سجوداً له تعالى، واعتبر السجود علامة العبادة {اسجدوا لله..إن كنتم إياه تعبدون} فالعبادة أصل والسجود فرع، العبادة جوهر والسجود مظهر. العبادة للخالق، والسجود بدعوة المخلوق لكنه للخالق، والآية داعية ليس متألهة كما أن النبي داعي وليس متأله يريد من الناس اتخاذه ربّاً ولا الملائكة كذلك.

د-{فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون}

كيف يسجد إنسان للمخلوق، كالشمس والقمر، ثم يتكبّر عن السجود لله الذي خلق الشمس والقمر؟ كيف يسجد لمخلوق ولا يسجد لخالق بسبب التكبّر؟ الذي يسجد للمخلوق المحدود يبدو أنه يعتبر نفسه أَقلّ حتى من المخلوق فكيف يكون متكبراً عن السجود للخالق المتعالي؟ جواب: لأنه اعتبر المخلوق يستحق السجود له سجود العبادة فقد استكبر، لأنه ولو بخفاء قد نسب لنفسه وهو مخلوق القابلية ليكون معبوداً مسجوداً له أيضاً، أو حين نسب للمخلوق الربوبية فقد استكبر هذا المخلوق

ونسب له كبراً وعظمة لا يستحقها في نفس الأمر. من هنا تجد ملكة سبأ تسجد للشمس، "وجدتها وقومها يسجدون للشمس"، لكن هذا نفسه هو الذي جعلها "امرأة تملكهم"، يعني تكبير المخلوق يؤدي إلى تكبير مخلوق آخر، فصاحبة سبأ سجدت مع قومها للشمس كمقدّمة لجعل قومها تحت ملكها. تعبيد الناس لمخلوق مقدّمة لتعبيدهم لأي مخلوق. فيبدأ أئمة الشرك بدعوة الناس إلى السجود لمخلوق طبيعي عالي أو ما وراء الطبيعة أو بشري أو ما كان من المخلوقات العلوية والسفلية والظاهرية والباطنية، ثم بعد قبول الناس لهذا ينتقلون بهم إلى الخضوع والاستملاك بيد مَن قصدوه ابتداءً بهذه الحيلة.

{فالذين عند ربك} "ما عند الله باق"، فهم كائنات عالَم البقاء. {يسبّحون له} فالتسبيح روح السجود، لذلك قابَل {اسجدوا لله} بـ {يسبّحون له}، فالتسبيح روح السجود، سواء كان للسجود صورة ظاهرية أم لا، فالعبرة هي التسبيح. ومن هنا أيضاً تجد التسبيح مقروناً بوضع السجود في الصلاة النبوية المتوارثة.

{يسبّحون له بالليل والنهار} هل يوجد ليل ونهار {عند ربك}؟ قال "إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون"، وقال "تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة". فدرجات العالَم مثل الأفلاك، كلما صعدت كلما اتسعت الدائرة، بحيث تكون دورة واحدة في الفلك الأعلى أكثر زمناً من الدورة الواحدة في الفلك الأدنى فقد تكون دورة فلك أعلى تساوي عشر دورات في فلك أدنى، وهكذا. وفي كل فلك ليل ونهار، فهذا حكم المخلوق المقهور بالليل والنهار، بينما الحق تعالى فوق ذلك بأحديته وصمديته. "الله يقبض ويبسط" فقبضه هو الليل، وبسطه هو النهار، أيا كانت صورة ذلك وكيفيته في العالَم والفلك الخاص "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكُلّ في فلك يسبحون". فلكل فلك شمس وقمر وليل ونهار، يتناسب حاله مع ذلك الفلك. ومن هنا قال عن أصحاب الجنّة وهم فيها "لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا". وقال "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض عشيا وحين تُظهرون". فالمساء والصباح والعشي والظهر وهي أوقات لا يخلو منها فلك من الأفلاك وعالَم من العوالم دنيا وآخرة. "الحمد لل الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" فالظلمات ليل والنور نهار.

{وهم لا يسئمون} قال بعدها في نفس السورة "لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسّه الشر فيؤوس قنوط. ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته". فالخير والشر، والرحمة والضراء، من مظاهر ليل ونهار العالَم. الذين {عند ربك} {لا يسئمون} من التسبيح، أيا كان حالهم ووضعهم وما يجدونه من قبض وبسط ربهم لهم، ففي جميع أحوالهم هم في تسبيح له. فلا يقيّدون الله في صورة ولا تنزيل ولا تجلي ولا عطاء مخصوص. العطاء عندهم ليس غطاء عليهم، لا يحجبهم العطاء عن حقيقة المعطي المتعالي جل وعلا. تعلّقهم عقلاً بالله تعالى يجعلهم يتذكرونه في كل شيء وجميع

الأضداد. الذي يعبد الله بالنفس، يتقلّب ما بين الفرح بالخير واليأس من الشر، لكن الذي يعبد الله بالعقل فالخير عنده يقتضي تسبيح الله عن التقيّد بهذا الخير بل يعرفون أنه في ذاته تعالى وما بيده لا يتحدد بذلك، والشر عنده يقتضي تسبيح الله عن التقيّد بهذا الشر بل يعرفون قهره وجبروته ويتذكرون بذلك غناه عنهم وافتقارهم إليه. من هنا تجده ربط عبادة الكافر بالشمس والقمر، أي بالمظاهر المخلوقة دون الظاهر الخالق تعالى.

فصل للتأمل: قوله في القبلة "قد نرى تقلّب وجهك في السماء" يشير إلى اتخاذ الشمس والقمر قبلة، ففي الصباح تكون قبلته مشرق الشمس، وفي السماء تكون قبلته مطلع القمر، فيتقلّب وجهه ما بين هذا وذاك. "فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام" حتى لا يتغيّر توجهه بتغيّر الشمس والقمر في مشارقها ومطالعها، "رب المشرقين" "رب المشارق" فللشمس مشرق ومشرقين ومشارق، وكذلك للقمر مثل ذلك، بحسب اختلاف الأزمنة. ولذلك لم يذكر القرءان قبلة في الأرض قبل المسجد الحرام، بالرغم من أنه نصّ على وجود قبلة لقول السفهاء "ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها"، وهي السماء، فقبلتهم كانت السماء "قد نرى تقلّب وجهك في السماء". فتحوّلت القبلة من السماء إلى الأرض، من الشمس والقمر إلى المسجد الحرام، وذلك لمرضاة الرسول "من يتبع الرسول" وقال "فلنولينّك قبلة ترضاها" فرضا الرسول هو سبب تحويل القبلة، من السماء إلى الأرض. وهذا تبعاً لطريقة القرءآن في فرض أمر أشدّ ثم تخفيفه، كما قال في المزمل مثلاً "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل..وطائفة من الذين معك..علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسّر من القرءان"، فجاء الأمر للنبي بالوقت الكمّي ثم انتقل إلى التيسير الوجداني الشخصي، فصارت النفس هي مصدر الوقت بحسب ما يتيسّر لها وهو يقظتها ونشاطها وفراغها ونحو ذلك من أبعاد نفسية شخصية، بعدما كان معياراً منفصلاً عن النفس وهو الثلث والنصف وما أشبه من اعتبارات كمّية عقلية مجردة. كذلك الحال في القبلة، كانت سماوية منفصلة بعيدة عن حال النفوس، بينما كان الرسول من أهل المسجد الحرام ووليه بالحق فكان له ميل نفسي إليه ورضاه في التوجّه إليه خاصّة، فأجاب الله ذلك وأذن له فيه، مما يدلّك أن الرسول لا يعمل شيئاً بغير أمر وإذن إلهي، فلو كان يتبع مرضاته هكذا بحسب الهوى الشخصي كما هو حال الإنسان عموماً لما انتظر وصبر حتى جاءه الأمر الإلهي. وهذا بدوره وغيره من آياته كثيرة، تشير إلى أن كل شأن من شؤون الرسول حتى مع أزواجه إن لم يأتي له تعديل في القرءان فهو دليل إقرار الله للرسول عليه، فإن ثبت عن الرسول أمر ولم يثبت في القرءآن تغييره فهو إقرار رباني له عليه أو هو من المباحات عند الله تعالى. حتى في الإذن للمنافقين جاءت آيات "عفا الله عنك لم أذنت لهم"، وحتى في تحريمه على نفسه ابتغاء مرضات أزواجه جاءت آيات "يا أيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك"، فإذا كانت الآيات تنزل حتى في هذه الأمور فمن باب أولى أنها تنزل فيها يتعلّق بالأمّة والعبادات والمعاملات الأخرى

التي تخصّ المسلمين إلى يوم الدين. فما ثبت عن النبي تاريخياً، ولم يثبت في القرءان خلافه، فالأصل أنه موافق للإذن الإلهي. فأقلّ عرض للسنّة والحديث على القرءان هو التأكد من عدم وجود شيء في القرءآن يعارض السنة والحديث، بأي وجه من أوجه التعارض.

هـ-{ومن ءاياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير}

أرسلت لي صاحبتي هذه الآية، ثم جاءتني نفس الآية في وردي، فعلمت أن في القرءان ما يغني عن تذكير الإنسان لمن عقل عن الله ووفقه الله.

{ترى الأرض خاشعة} هذا قارئ القرءان، هو أرض خاشعة "قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون".

{فإذا أنزلنا عليها الماء} الروح الحية التي ينفخها الله في كل كلمة قرآنية.

{اهتزّت وربت} دبّت الحياة في نفسها، واتسع علمها. مَن لم تتحرّك نفسه ويتسع عقله بسبب قراءته، فحتى لو خشع ظاهراً فليس له من صلاته حياة.

{إن الذي أحياها لمحيي الموتى} كما أن الله يحيي في الطبيعة الأرض الميتة، كذلك سيحيي قراء كتابه.

{إنه على كل شيء قدير} فالأمر تابع لقدرته، والقدرة باقية لا تتقيّد بالماضي والحاضر. فالإحياء مستمر بإذن الله.

و-{إن الذين يلحدون في آياتنا} كما قال عن المسجد الحرام "فمن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم". فكل آية مسجد. "أقيموا وجوهكم عند كل مسجد" ولذلك شرع غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة.

{لا يخفون علينا} فلا تظن أن إلحادهم هذا دليل كونهم على صواب في ما يقومون به.

{أفمن يُلقى في النار خير أم مَن يأتي ءامنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم} العمل المقصود هنا هو الإلحاد في آيات الله، أي هو العمل المتعلق بالآيات، وليس أي عمل مطلقاً، وذلك لأنه "لا إكراه في الدين". والجزاء على الإلحاد في آيات الله سيكون في يوم القيامة. مَن ألحد في الآيات أُلقي في النار، فمن آمن بالآيات أتى آمناً يوم القيامة، فتكفي الآيات لتحديد مصير النفس.

{إنه بما تعملون بصير} فالله هو الذي يبصر ويراقب الناس في موقفهم من الآيات، وليس على إنسان أن يراقب إنساناً آخراً ويحاسبه جبراً على ما يقوم به تجاه الآيات. كل السلطات المدنية التي تتدخل في الأمور الدينية هي سلطات طغيانية كفرية.

ز-{إليه يُردّ علم الساعة} قال هذا بعد ما ذكر موقف الناس من كتب الله وحال النفوس بالنسبة لذلك.

{وما تخرج من ثمرات من أكمامها} هذه آية للنفوس لتعلم قيمة كتاب الله الآن، فإن الدنيا مثل الشجرة والنفس داخله مثل الثمرة التي تتكوّن، فالأجسام هي الأكمام بحسب هذه الآية، وكتاب الله هو وسيلة جعل النفس إما صالحة وإما مسيئة وعلى ذلك يتحدد مصيرها إلى الجنّة إن صارت نفساً جنانية أو إلى النار إن صارت نفساً نارية. فكما أن الثمرة تخرج من الأكمام، كذلك النفس تخرج من الأجسام. فخروج الثمرة ساعتها، وخروج النفس ساعتها. وكما أن للثمرة أجل، كذلك للنفس أجل. وكما أن للثمرة آكل، كذلك للنفس آكل أي تدخل في عالَم بحسب طبيعتها.

{وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه} هذه آية ثانية للنفوس من عالَم الأنفس كما أن آية الثمرة التي تخرج من الأكمام هي من عالَم الآفاق. وهذا نمط شائع في القرءان، أي ضرب مثل بالنباتات ومثل بالحاملات للبعث والقيامة والساعة. فكما أن الأنثى تحمل الجنين وتضعه، كذلك الجسم يحمل جنين النفس ويضعها. وكتاب الله هو وسيلة تشكيل النفس، كما أن خلق الله هو مشكّل الجنين داخل الرَّحِم. فالأنثى هنا هي الطبيعة والجسم، والحمل دخول النفس فيها، والوضع خروجها إلى عالَم الدار الآخرة.

{ويوم يناديهم أين شركائي} كما أنه لا شريك لله في خلق الثمرات، ولا في خلق الجنين، كذلك لا شريك له في خلق النفس وتشكيلها بالدين "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله". فكتاب الله هو الوسيلة الوحيدة لبيان التشريع الذي أذن به الله. ثم معرفة التوحيد خلاصة الأمر كله، فالنفس تطيب بالتوحيد وتخبث بالشرك "إنما المشركون نجس". فحين تخرج ثمرة النفس من أكمام الأجسام، وتضع أنثى الطبيعة ولد النفس للآخرة بالموت الذي هو الوضع، ستخرج النفوس إلى دار التوحيد الحق حيث "لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله" "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار".

{قالوا ءاذنّاك ما منّا من شهيد} هذا قول الذين أشركوا بالله. {وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا ما لهم من محيص} لأنه لا سبب في ذلك العالَم إلا سبب الله تعالى وفعله المباشر، خلافاً للدنيا التي جعل الله فيها للإنسان وغيره سببية ظِلّية تابعة لإذنه ومشيئته في الجملة "لو شاء الله ما أشركوا" "يقتلون النبيين".

...

{ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فَكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}

من أين يأكلا؟ {من حيث شئتما} يعني من مجموع مشيئتهما، فآدم له مشيئة، وزوجه لها مشيئة، لكن خاطبهما باسم آدم الواحد {يا آدم} فجمعهما في اسم آدم، ثم فرّق {أنت وزوجك} كما قال النبي "أدعو إلى الله" فجمّع ثم فرّق "أنا ومن اتبعني". فآدم له مشيئة وزوجه لها مشيئة، فأمرهما

بالأكل {من حيث شئتما} حين تتحد مشيئتهما وتجتمع، وهذا ما انعكس لاحقاً في أمر التشاور بين الزوجين "عن تراض منهما وتشاور" فهذا من الجمع بين أكثر من مشيئة وتوحيدها.

لا يقربا ماذا؟ {لا تقربا هذه الشجرة} يعني التشاجر، "شجر بينهم"، فالشجرة تضاد وتحارب وتناقض وافتراق المشيئة الخاصة لكل فرد عن غيره. فإذا اقتربا من التشاجر فالنتيجة تكوينياً هي {فتكونا من الظالمين} إذ إما ستظلم مشيئة آدم مشيئة زوجه، وإما ستظلم مشيئة زوجه مشيئة آدم، فلابد من ظلم أحدهما وعدم السماح لها بالظهور كما قال الله في صاحب الجنّتين "كلتا الجنّتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئا وفجّرنا خلالهما نهرا" فجنّة مشيئة آدم ستظلم من ذاتها أو أبعادها شيئاً إن لم تتجلّى تمام التجلي، وكذلك مشيئة زوجه، في حال التشاجر. لكن في حال عدم الظلم فسيتفجر خلالهما نهراً يسعهما معاً.

إذن، الجنّة حين تتراضى وتتشاور وتجتمع مشيئة آدم وزوجه، والشقاء حين تتشاجر مشيئة الواحد مع الآخر.

...

{وكذلك أوحينا إليك قرءاناً عربياً لتُنذر أمّ القرى ومَن حولها} من أهل اللسان العربي، لأنه سينذرهم بالقرءان العربي. {قرءاناً عربياً لتنذر} بالقرءان العربي. {لتنذر أمّ القرى ومَن حولها} الذين يعتبرونها أمّ القرى، ويقصدونها للحجّ والعمرة فهي أمّهم التي يرجعون إليها، فالمقصود القرى التابعة للأمّ التي هي مكّة فهي {أمّ} هذه {القرى}، وهذه القرى {حولها} حولها هي مثل "ترى الملائكة حافين من حول العرش"، ومثل "بورك مَن في النار ومَن حولها" فالمقصود مَن حول العرش فقط ومَن حول النار فقط. فهذا الإنذار الخاص بالقرءان العربي لأهل اللسان العربي.

وقال بعدها في نفس الآية {وتُنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السعير} ما الفرق بين الإنذار الأول والثاني؟ {لتنذر أمّ القرى} هذا الأول، {تنذر يوم الجمع} هذا الثاني، فما الفرق؟ اعتباران.

الاعتبار الأول: الإنذار الأول يتعلّق بالعاقبة في الدنيا، مثل تدمير الأقوام وهلاكها وعذابها النفسي بسبب كفرها. الإنذار الثاني يتعلّق بالعاقبة في الدار الآخرة الأبدية، وهي {فريق في الجنّة وفريق في السعير}.

الاعتبار الثاني: الإنذار الأول يختصّ بأهل اللسان العربي، لكن الإنذار الثاني يمكن ترجمته إلى أي لسان لأن المقصود به الكشف عن عالَم آخر مثل الكشف عن عالَم الدنيا فيمكن ترجمة علوم الطبيعة بمختلف الألسنة أيّاً كان اللسان الأصلي الذي وضعت فيه كتب العلم الطبيعي وكذلك يمكن ترجمة علوم ما وراء الطبيعة بمختلف الألسنة حتى لو كان اللسان الأصلي للكتاب هو العربية خصوصاً. على هذا، {أم القرى ومن حولها} يأخذون معنى الوحي وصورته، بينما بقية الناس يأخذون

معنى الوحي بدون صورته، ويكون العرب رسل العجم كما كان النبي رسول العرب الذي جاء الوحي بلسانه ليبيّن لهم. حين يُتَرجَم معنى القرءان لابد من مراعاة الكشف عن حقائقه وحججه بتجريد وتخليص له من ثيابه العربية بأكبر قدر ممكن، فإن العربية ثوب اللب القرآني والعبرة بالتعقل لا باللسان بدليل أن أهل اللسان ذاته قالوا له "لا نفقه كثيراً مما تقول" أو "بيننا وبينك حجاب"، فلا يغني اللسان عن المعرفة بالجنان والإدراك بالبرهان والشهود بالعيان "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق".

...

{يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول}. إذا وقع تنازع بين الذين ءامنوا وأولي الأمر منهم، فالمرجع في الحكم الله والرسول. فماذا إذا وقع النازع في نسبة الأمر للرسول أو تنازع أحد مع الرسول؟ الحكم إلى الله لقوله {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله}. فمن آمن بكتاب الله، فهذا حكم الله له. ومَن كان له اتصال بالله، فمن هناك حكم الله له. ومَن كان لا كتاب ولا اتصال لهم بالله الآن، فحكمه إلى الله في الدار الآخرة {فينبئكم بما كنتم تعملون}.

...

{الله يجتبي إليه مَن يشاء ويهدي إليه مَن يُنيب}: لو كان الله قد قدّر لإنسان أزلاً الضلالة، لما جعل للمنيب ضمانة هداية، بل لقال {الله يجتبي إليه مَن يشاء} وانتهى الأمر عند هذا الحد. لكن الله يرضا لعباده كلهم الإيمان ولا يرضى لهم الكفر، ولذلك جعل تعالى {إليه} طريقان، طريق الاجتباء وهذا راجع لمشيئته تعالى وحده، وطريق الإنابة والإنابة فعل العبد {يهدي إليه مَن ينيب} فهذا ضمان الله تعالى ووعده الذي لا خُلف له، فمن أناب سيهديه إليه حتماً. المُجتَبى والمنيب كلاهما مرجعه واحد وهو {إليه} أي إلى الله، لذلك قال {يجتبي إليه..يهدي إليه} وبدأ باسم {الله}.

...

العلم هو كتاب الله. وتفرّق الأمّة حدث بعد كتاب الله. لذلك قال {وما تفرّقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم..وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب} فقال أولاً {العلم} وبعدها {أورثوا الكتاب} فمَن أراد العلم فيقرأ الكتاب. علم الدين، بدليل الآية قبلها {شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك..أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه..وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم..أورثوا الكتاب} إذن الشرع الديني ووصايا الرسل ووحي النبي والدين الواحد والعلم كله متمثّل في الكتاب. فعلم الدين الخالص والحق والشرع والوصايا والوحي كلّه يؤخذ من الكتاب.

لماذا تفرّقوا؟ {بغياً بينهم}، فهي نزاعات شخصية وتنافس على الدنيا، لا علاقة لها أصلاً بكتاب الله.

ما موقفهم من علم الدين المأخوذ من الكتاب؟ الكتاب محفوظ وقد ورثوه بدليل {أورثوا الكتاب} فلم يخبر عن ضياع الكتاب في ذاته، لكن موقفهم منه هو {لفي شكّ منه مريب} وهذا بسبب ما وضعته الفرق المتنازعة حتى تبرر وجودها خارج الكتاب، فوضعوا لأنفسهم وأتباعهم أمور تشككهم في الكتاب أو تجعله مشكوك المعنى وسبباً للريبة بدلاً من أن يكون الكتاب مصدر اليقين والثبات والبيان.

{فلذلك فادعُ واستقم كما أُمرت} فمن أراد دعوة النبي فهي في كتابه، واستقامة النبي بحسب ما أُمر وقد أُمر بالوحي "أتبع ما يوحى إليّ". {ولا تتبع أهواءهم} ما خالف الكتاب فهو الهوى. {وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم} فهذا حكم النبي بين الناس بما أراه الله بوسيلة الكتاب الذي أُنزل إليه، "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاحكم بين الناس بما أراك الله"، بالتالي حكم النبي بين الناس هو من عمله بكتاب الله، ولو كان حكم النبي يخطئ أمر الله لما قال {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا حرجاً في أنفسهم مما قضيت ويسلّموا تسليما} لأن الإيمان وعدم الحرج والتسليم التام لا يكون إلا لما كان عين أمر الله وحكمه. ففرق بين مَن يريه الله الحكم بالكتاب، فيكون فهمه محفوظاً من الخطأ. وبين مَن يكون حكمه بكتاب الله برأي يراه هو، فيكون فهمه غير محفوظ من الخطأ. فمن كان يريه الله، فحكمه تابع لحكم الله. ومَن كان يرى بنفسه، فحكمه تابع لنفسه.

...

{فلما تراءت الفئتان}: حين يكون النبي في فئة، وعدو النبي في فئة أخرى، فكن مع فئة النبي.

حين تكون قِيَم النبي في فئة، وضد قيم النبي في فئة أخرى، فكن مع الفئة التي فيها قيم النبي.

حين تكون القِيَم الجوهرية للنبي في فئة، والقيم الثانوية للنبي في فئة أخرى، فكن مع الفئة التي فيها القِيَم الجوهرية للنبي.

"ومَن تكن برسول الله نُصرته / إن تلقه الأُسد في آجامها تَجِمِ".

...

{وُيسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا}

{زنجبيلا} الزنج في اللغة هو شدّة العطش وأن تُقبض أمعاؤه ومصارينه من شدة العطش فلا يستطيع الأكل والشرب. وعطاء مُزَنَّج يعني قليل. والزناج هو المكافأة. أما بيل فمن "أبابيل" فتعنى الشيء المتتابع والقطعة من الشيء.

ما معنى هذا؟ {ويسقون فيها كأساً} معارف القرءان. {كان مزاجها زنجبيلا} هذه المعارف تؤثر في النفس تأثيراً يجعل شهواتها وميلها إلى الدنيا ينقبض بسبب التذكير المتتابع بعظمة الآخرة وفناء الدنيا. فالقرءان يروي ويبسط النفس من حيث روحانيتها، ويقبض النفس من حيث جسمانيتها. فمَن كان إقباله على القرءآن لا يجعله أكثر إقبالاً على الآخرة فلم يُسقى كأسه بعد. القرءان دليل الآخرة.

انتهی والحمد لله...